427

HARLEQUIN

روايات أحلام

الحياة في كذبة

تريش وايلي

www.elromancia.com
مرمورية

الحياة في كذبة

في لهفتها لإنقاذ عمل أبيها ، تدخل كيتلين رورك في منافسة تلفزيونية وفي ذهنها شيء واحد هو ربح الجائزة المالية ، ولكي تفوز كان عليها أن تقنع أسرتها وأصدقائها بأنها ستتزوج رجلاً غريباً .

وعندما عرفت خطيبها الزائف الرائع ، إيدن فلين ، أخذت تتمزق بين إحساسها بالذنب تجاه أسرتها وبين مشاعرها نحو إيدن .

... والى أن اقترب يوم الزفاف وأخذت كاميرات التصوير تدور ، كانت كيتلين قد أصبحت كشبح ، يتنازعها سؤالان : هل تستسلم لمشاعرها نحو إيدن أو تقتله ؟

أيمكن أن ينقلب التمثيل حقيقة ، أم أن الواقع دائماً مختلف ؟

تريش وايلي

تنقلت تريش من مهنة إلى أخرى قبل أن تحقق حلمها بأن تصبح كاتبة. لكن السنوات التي أمضتها بالعمل في حقل الموسيقى والإعلانات وتعليم الأطفال وركوب الخيل، منحتها فرصة التعمق في شؤون الحياة والناس المحيطين بها. وهذا ما تعتبره تريش دروساً مفيدة للبدء بكتابة الروايات.

تعيش تريش في إيرلندا وتوزع وقتها ما بين التأليف والاهتمام بالخيل. وهي تعتقد أن الإنسان الذي يمضي أيامه وهو يقوم بالأعمال التي يحبها، يتمتع بحياة رائعة دون شك.

يمكنكم التواصل مع تريش عبر موقعها الإلكتروني.

WWW.Trishwylie.com.

١ - الحياة في كذبة

- أريد أن اعلم يا أبي مدى خطورة المشكلة.

- لا حاجة لأن نقلق نحن الاثنان.

- وماذا عن شعار «المشكلة مشتركة»؟

- ما زال كما كان.

طرفت كيتلين بعينيها وهي تتأمل وجه أبيها المألوف وشعره الذي أصبح رمادياً في السنة الأخيرة ما جعلها تشعر بالقلق عليه.

نظرت بارتياب إلى ابتسامته التي لم تصل إلى عينيه، ثم تنهدت بإحباط، وقالت: «أعلم أن ثمة مشكلة، ربما بإمكاني أن أساعدك».

وأخذت كرسياً وضعته أمام مكتبه وجلست عليه.

تنهّد بدوره ثم استند إلى الخلف وأحنى رأسه: «لن تتمكني من ذلك هذه المرة».

فقالت برقة: «وما أدراك»؟

- أعلم ذلك يا طفلتي.

- عليّ أن أعرف ما يجري قبل أن أقرر بنفسي. أنت من علّمنا أن ندرس الحقائق والوقائع من كافة الزوايا قبل أن نتخذ قراراً.

ابتسم برتران برقة وهو يراها تستعمل كلماته ضده: «عندما يستعمل أولادي فلسفتي لينتصروا عليّ في الجدل، أشعر أني كبرت في السن».

- أنت أنشأتنا على أن نتساءل، ونتعلم، وكان هذا حسناً جداً. أنت أب غير عادي.

وضحكت فيما بهتت ابتسامته، وحوّل عينيه عنها: «يمكنني، إذن، أن أقول إنني أصبت مكان ما».

ساد الصمت وراحت تتفحص وجهه مرة أخرى.

كانت قد لاحظت فيه تغيراً في الأشهر الأخيرة، بدءً من نقص ثقته بنفسه، وازدياد صمته تدريجياً وشروده. لم يعد ذلك الأب الذي تعرفه وتحبه.

ثمة أمر سيء... وهام للغاية.

خفق قلبها وهي تطرح عليه السؤال الذي يعذبها منذ أسابيع: «أخبرني يا أبي، وإلا لن أترك هذا المكتب، هل أنت مريض»؟

نظر إليها بدهشة: «لا، أنا لست مريضاً. لماذا تظنين هذا»؟

لكنه فقد الكثير من وزنه، وعادت تسأله: «هل هي أمي؟».

- لا. لا أحد منا مريض.

عندما يكبر الناس، يزداد إدراكهم أن والديهم لن يعيشوا إلى الأبد.

إذن، لم يبقَ سوى أمر واحد: «إنه العمل، أليس كذلك؟».

استند إلى الخلف وتفحص وجهها لحظة طويلة أوماً بعدها: «نعم».

- حسناً... علينا أن نجد حلاً، لذلك. هذا ما تعودنا عليه، هل تذكر؟

امتلأت عيناه حزناً وهو يرد: «هذا الأمر لا يمكن حله بسهولة، لقد حدث بسبب غبائي ولا يمكنني أن أفعل شيئاً».

بدا على ملامحها تصميم عنيد يعرفه أبوها جيداً وقالت: «إذا كان الأمر يتعلق بالمال فسنجد المال».

تنهد باستسلام: «لقد سبق ووجدنا المال ثلاث مرات، لكن ما سنفقده الآن ليس العمل فقط».

- ماذا غير ذلك؟

- البيت.

انقطعت أنفاسها... لا... ليس البيت. ليس المكان الوحيد في العالم الذي تجد فيه الأمان والحب المطلق من دون قيد. إنه فردوسها. المكان الحافل بالذكريات. لا يمكن أن تفقد هذا. هذا غير ممكن...

- كيف حصل هذا؟

- تضخم في السيولة. كثيرون من قبلنا أفلسوا. الناس لم يدفعوا لنا، فلم أستطع بدوري أن أدفع لمن علي أن أدفع لهم فأخذت أستدين حتى اضطررت إلى رهن المنزل والآن لم يعد بإمكاني أن أستدين أكثر.

استغرق استيعابها لما يقول لحظة طويلة، وعندما استوعبت أخيراً خطورة الموقف طرفت بعينيها ببطء وهي تطلب الإيضاحات: «كم يلزمنا من مال لنحلّ هذه المشكلة»؟

فأبتسم الأب بحزن: «أكثر مما تستطيعين الحصول عليه».

- كم، يا أبي؟

تردد لحظة، ليقول أخيراً: «سبعون ألفاً».

اتسعت عينا كيتلين. كان هذا يفوق بكثير ما أدخرته، ولعله يفوق أكثر مما يستطيع أخوتها وأختها التنازل عنه من مدخراتهم.

وتأملت وجه أبيها مرة أخرى، فرأت الهزيمة والإحباط والشعور بالفشل. وحطّم قلبها أن ترى هذا الرجل القوي الذي كان يمتلك من الحب ما يكفي ليحل مشاكل أولاده كلها، على هذا الحال.

على الفور خطرت في بالها إيسلنغ، صديقتها التي أمضت معظم الأمسية تتحدث إليها عبر الهاتف. كانت إيسلنغ قدّمت لها عرضاً أمضت ساعات في السخرية منه.

وفجأة، لم يعد هذا العرض يبدو سخيفاً... بل بدا لها طريق النجاة!

أومأت للقرار الذي اتخذته بصمت، ثم وقفت وتقدمت من أبيها تحتضنه: «سنجد حلاً لهذه المشكلة يا أبي، عليك أن تنتظر لترى».

أنت من علّمنا أننا معاً أقوى منا متفرقين».

أخذ نفساً مرتجفاً وهو يقول: «لا سبيل لحل هذه المشكلة، يا حبيبتي».

- ثمة سبيل دوماً. لا مزيد من الأسرار، يا أبي. لهذا السبب ربنا خلق الأسرة. هذا ما أخبرني به شخص حكيم ذات يوم.

وابتسمت له، فأومأ بابتسامة صغيرة: «لا بأس! لا مزيد من الأسرار».

قبلت جبينه، مغمضة العينين. لا مزيد من الأسرار باستثناء ذلك السرّ الكبير الذي ستحتفظ به لتخرجهم جميعاً من هذا المأزق.

* * *

- يا إلهي! يبهجني جداً أن توافقي.

واحتضنتها إيسلنغ بعنف بعد أن دخلت مكتبها وهي تتابع: «ستكونين مذهلة للغاية».

تخلّصت كيتلين من هذا العناق، ثم نظرت إليها بعينين ضيقتين: «لا أعرف الناحية المذهلة من المسألة لكنني مسرورة لأنّ إحدانا مبتهجة».

فقالت إيسلنغ وهي تجلس على الأريكة الفسيحة في مكتبها: «إنه مشروع مثير لنا جميعاً. فقد استغرق إعداده سنة ونصف، وأنا متلهفة لأن نبدأ التنفيذ».

اقتربت كيتلين لتجلس معها: «هل بإمكاننا مراجعته مرة أخرى؟».

- ألست متوترة الأعصاب؟

فضحكت: «أنا؟ كلا، فقد اعتدت أن أكذب على أسرتي وأصدقائي عن مصدر المال الذي سأحصل عيه من التمثيل».

ابتسمت إيسلنغ: «حسناً، لو كنت مكانك لتوترت أنا أيضاً».

- أنت لست من سيعيش الكذبة.

- لماذا تظنينني حريصة على أن تكوني أنت من يقوم بذلك؟

- لأنك تعرفينني، فمن غير الممكن أن أرفع عليك دعوى.

فضحكت إيسلنغ: «حسناً، لم أفكر في هذا، ولكن بإمكانك أنا تضيفيها إلى المزايا الأخرى».

- وهل لدي مزايا معينة؟

- لديك الكثير منها.

وأخذت تعد على أصابعها: «عزباء، غير مرتبطة وستكونين مثيرة أمام آلة التصوير، كما أنك من أسرة مترابطة بشكل محير، ولديك سبب جيد يجعلك ترغبين في كسب المال».

اتسعت عيناها: «ماذا تعنين (سبب جيد)؟».

بدت الدهشة على إيسلنغ: «يا له من سؤال غريب! أمازلت تريدين إنشاء مطعمك ذاك؟».

كان هذا كل ما ترغب فيه منذ درست الطهي، وهو مكانها الطبيعي للإبداع لكن أولوياتها تغيرت الآن إذ لديها أمور أخرى أهم بكثير، وهي بحاجة إلى المال، لكن كذبة أخرى لن تحدث فرقاً كبيراً.

وأجابت: «نعم، بكل تأكيد».

- حسناً، إذن...

- وماذا عن الشاب...؟

أشرق وجهها: «إيدن؟ إننا شغوفون به. انتظري حتى تقابليه..».)

انكمشت كيتلين لهذه الفكرة. لم تشأ أن تقابله، لو كان الخيار خيارها... على الإطلاق. إن كان لا يناسبها، فستكره كل لحظة أمضتها بجانبه.

لكن فيلم إيسلنغ يقوم على شخصين مختلفين تماماً يدعيان أنهما مغرمان بعضهم البعض وما عليهما أن يفعلاه هو إقناع أسرتيهما وأصدقائهما بأن حبهما حقيقي. وفي النهاية يتم الزواج الزائف أمام أصدقائهما وأسرتيهما. ما أسهل هذا! سيعيشان ثلاثة أشهر في كذبة

www.elromancia.com

فيما آلة التصوير تلاحق كل حركة منهما. لكنها مستعدة لتحمّل عذاب التطفل على حياتها الخاصة لتنقذ عمل أبيها وذلك المكان السحري الذي عاشت فيه.

رفعت كيتلين رأسها. يمكنها أن تقوم بذلك... بل عليها ذلك. إنها مجرد ثلاثة أشهر.

على أيّ حال، إلى أي حد يمكن أن يكون إيدن هذا سيئاً.

٢ ـ النقيضان

التفت إيدن فلين عندما انفتح الباب، وأخذ يحدّق في المرأة التي ستصبح خطيبته للأشهر القليلة التالية.

كانت مذهلة، ولا عجب من وقوع الاختيار عليها من بين كافة المرشحات. يراهن على أنها ستبدو رائعة على الشاشة فهي أجمل بكثير مما توقع.

عندما فتحت الباب، كانت تبتسم. أما الآن، فيما عيناها تتفحصانه، فرأى ابتسامتها تذوي.

وفجأة، تمنى لو أنه كلف نفسه عناء حلاقة ذقنه.

لكن إيسلنغ كانت عنيدة وأصرّت على أن يبقى كما هو. كان ممتازاً كما هو، على حدّ قولها.

من المؤسف آن كيتلين رورك لم تشاطرها الرأي.

انحدرت نظراته عن شعرها البني الكث إلى بشرتها القمحية التي لا عيب فيها، إلى فمها. ثم تجرأت على الانحدار إلى الأسفل... إلى عنقها الطويل وصدرها الناهد، ثم خصرها النحيل. نعم، إنها فتاة غير عادية، وبعيدة كل البعد عن معشره المعتاد فهي تعكس الأناقة والفخامة.

وعادت نظراته إلى شعرها القصير فيما ارتفعت يدها لتضع خصلات شعرها خلف أذنها، وابتسمت له مرة أخرى قبل أن تتقدم إلى الأمام.

بعدئذ، أذهلته وهي تضع ذراعها حول رقبته وتضغط جسمها الرشيق على جسمه، فطرف عينيه باضطراب ثم أحاط خصرها بذراعيه بحركة

www.elromancia.com

أنه لا يلومهما، إذ يبدو بحالة مزرية.

حدّق في عينيه في المرآة، وهما الشيء الوحيد الذي ما زال مميزاً فيه.

كانت خصلات شعره الأسود تصل إلى ياقة قميصه القديم. أما ذقنه فكيتلين على صواب. عليه أن يحلقها، إذ يبدو وكأنه عائد من جزيرة مهجورة.

وارتفع حاجباه بحدة وهو يدرك أنّ هذا هو الواقع فعلاً، فقد أمضى الأشهر الستة الماضية في عزلة تامة لا يؤنسه فيها سوى شبح وعمل.

وعندما ابتعد عن المرآة، وجد نفسه أمام صور داخل إطارات إنها حياة كيتلين رورك أمامه.

بدت ضاحكة، وباسمة لأناس من حولها فيما انعكس الحب في عينيها. صورة أخذت لها على غفلة وهي مستلقية على أريكة، صورة في يوم خريفي والريح تعبث بشعرها الطويل. أظهرتها الصورة امرأة سعيدة قانعة، تعشق الحياة.

كانت كيتلين رورك تمثل كل ما لا يمثله هو. وأحرق جوفه ألم مألوف جعله يشعر بالغضب منها.

- هل أنت مجنونة؟

نظرت كيتلين إلى أختها وهي تطرف بعينيها: «ماذا؟».

- ماذا تفعلين؟

والتفتت إلى آلة التصوير بجانبهما، ثم أدارت لها ظهرها وهمست: «هل أنت مصممة على الزواج منه؟».

وسرعان ما بدا الاستنكار على كيتلين التي أخذت نفساً عميقاً، وبدأت تحبك كذبتها: «أنت لا تعرفينه كما أعرفه».

وتعالت ضحكة ساخرة: «هذا واضح، لأن كل ما في ذهنه يختفي تحت كمية من الشعر».

شعر سيزول عند الصباح إذا أصرّت كيتلين على رأيها. لا يمكنها أن تطيق رجلاً بلحية.

- أنت بحاجة إلى وقت لكي تعرفيه، يا كارا.

- كما حدث معك؟ هذا غريب جداً يا كيتلين. هل تعرفين هذا الرجل إلى حد أن تتزوجيه؟

- لقد تحدثنا معاً لأشهر.

- بواسطة الإنترنيت؟

- نعم.

- وهل عرفته بما يكفي لتمضي حياتك معه؟

- نعم. ولا يمكنك أن تحكمي عليه في دقيقتين.

كانت الأكاذيب تتدفق الآن بسهولة.

حدّقت كارا فيها طويلاً، ثم قالت: «هذا ليس من عادتك، يا كيتلين فهو لا يشبه أياً من أصدقائك. وهؤلاء المصورين مجانين».

تنهدت كيتلين: «أخبرتك أنه مجرد برنامج عن أناس وجدوا الحب عبر الإنترنيت».

- أتعنين أننا كلما تحدّثنا إليك، يصوّر المشهد ويضم إلى الفيلم؟

- أشهر قليلة فقط وينتهي الأمر.

نظرت كارا إلى آلة التصوير من فوق كتفها: «حسناً، إذا ساعدنا الحظ، فلن يكون هذا هو الأمر الوحيد الذي ينتهي».

مدّت كيتلين يدها وشدّت على ذراع أختها: امنحيه وقتاً، يا كارا. لا يمكن أن يكون سيئاً إلى هذا الحد».

وأدركت غلطتها، فمن الطبيعي أن تكون واثقة من هذا ما دامت ستتزوجه، وعادت تقول: «إنه رجل رائع. هذا هو رأيي على الأقل فامنحيه بعض الوقت».

تنهدت كارا وحدقت فيها بعينين تماثلان عينيها سواداً: «أظنني

www.elromancia.com

سريعة.

أمالت رأسها إلى الخلف لتنظر إليه: «ها أنت هنا! افتقدتك».

اتسعت عينا إيدن: «حسناً، لقد افتقدتك أنا أيضاً».

نظرت جانباً فتبع عينيها ليرى آلة التصوير موجهة نحوه... إلى العمل مباشرة، إذن...

مالت نحوه وهي تهمس: «أختي هنا».

اشتدت ذراعاه حولها، مشيراً إلى أنه فهم، ثم فعل ما يفعله أي خطيب، أيّ عانقها، فلابد أن أختها تتوقع هذا.

اتسعت عينا كيتلين وهي تشعر بتوتره، ثم قالت ضاحكة: «كلا. لن تفعل هذا ولك مثل هذه اللحية».

أتظن أنّ هذه اللحية ظهرت أثناء الليل؟

- لِمَ لم تشتكي من هذه اللحية أثناء العطلة الأسبوعية الماضية، يا حبيبتي؟

تحرك حاجباها ولمعت عيناها. وتساءلت إن كان هذا تحدياً؟

وقالت بحلاوة العسل: «ليس لديك فكرة عن الحساسية التي تسببت لي بها هذه اللحية».

ولمعت عيناه وهو يجيبها: «سأعوّضك عن ذلك أفضل بعد».

كان هذا تحدياً حقيقياً.

وبسرعة بالغة، أنطفأ لمعان عينيها وابتعدت عنه ونظرت نحو غرفة الجلوس ثم عادت تنظر في عينيه وهي تقول: «عليك أن تحلق تلك اللحية».

- لم نتزوّج بعد وها أنت تحاولين أن تغيريني.

حدقت إليه شقيقتها بالنظرة المدهوشة نفسها وهو يدخل الغرفة الدافئة. تملك إيدن شعور لم يعرف كنهه. لا بأس! لعله ليس من الشبان أصحاب الوسامة المثالية لكنه لا يبدو أيضاً كإحدى شخصيات

أفلام الجرائم المتسلسلة.

- مرحباً.

أخذت كيتلين تتأمل أختها التي كانت تنظر إليه وتطرف بعينيها قبل أن تلتفت إليها بعينين متسعتين. خبر خطوبتها وقع عليها كالصاعقة، كما كان عليها أن توضح سبب وجود آلات التصوير في منزلها.

- هو ذا إيدن.

- فتى الإنترنيت؟

فابتسمت وردّت: «نعم. هذا هو».

- الرجل الذي ستتزوجين؟

- نعم.

فتحت فمها لتعلّق، لكنها عادت وانتبهت لآلة التصوير في آخر الغرفة فرسمت ابتسامة على شفتيها وهي تنهض واقفة: «ما أجمل أن أتعرّف إليك، يا إيدن. أنا كارا».

- ما أجمل أن أتعرف إليك أخيراً! لقد سمعت الكثير عنك.

بقيت الابتسامة على فمها وهي تهز يده: «أنا واثقة من أن هذا يفوق ما سمعته أنا عنك. إنك مفاجأة».

ضحك وهو يترك يدها: «هذا صحيح».

بقيت كارا تحدّق فيها، وكأنه جرثومة تحت المجهر. واقترب من كيتلين أكثر وقال ضاحكاً: «حسناً، يا حلوتي. سأضع حقيبتي في الطابق العلوي».

وقفت المرأتان جامدتين والإبتسامة لا تفارقهما بينما غادر هو الغرفة.

سمع كارا تهمس وهو يصعد السلم: «هل أنت مجنونة؟».

لقد مرّ وقت طويل منذ ترك أثراً كهذا في امرأتين.

نظر إلى نفسه في المرآة عند أعلى السلم، ثم ابتسم بجفاء، وخطر له

www.elromancia.com

منزعجة لأنك لم تخبريني عنه من قبل. لطالما تصارحنا. وهذه هي المرة الأولى التي لا نفعل فيها ذلك».

كادت كيتلين تختنق وهي ترى صحة هذا الكلام. وعادت كارا تقول بصوت هزته المشاعر: «يبدو وكأن شيئاً ما تغيرَ بيننا، وأنا أكره هذا».

غالبت كيتلين دموعها عندما عانقتها أختها قبل أن تخرج وهي تقول لها: «سأتحدث إليك غداً».

ونظرت إلى آلة التصوير: «هل هذه جاهزة للتصوير... أم أنه ليس لديك فكرة؟».

خفضت كيتلين بصرها عابسة، ثم رفعته إلى السقف. حان وقت عودتها إلى خطيبها

رجت الله ألاّ يخيب أملها... ودارت على عقبيها لتصعد إلى الطابق العلوي.

٣ - من تراها تكون؟

عندما وصلت كيتلين إلى الردهة، وجدته عند منتصف السلم. رفعت بصرها إليه فتلاقت أعينهما. كانت عيناه بالغتي الزرقة ولامعتين. إنّ شخصاً له مثل هاتين العينين الرائعتي الزرقة لا يمكن أن يكون سيئاً.

- مرحباً.

فطرفت بعينيها: «مرحباً».

- أنت إذن خطيبتي؟

فابتسمت: «هذا ما يبدو».

أوماً والتسلية في عينيه: «كانت صدمة كبيرة بالنسبة إلى أختك، أليس كذلك؟».

رفعت حاجباً أسود تحت غرّتها التي لا تنفك تنزل على عينيها: «حسناً، إنها تحاول حمايتي. ستجد الكثير من هذا في أسرتي مع الأسف».

تأملها قليلاً ثم سألها: «هل أسرتك متضامنة؟».

- نعم. لن يكون الأمر سهلاً.

شعرت فجأة بالضعف وهو يتفرس فيها وتسارع النبض في صدغها. لم يحدث قط أن أحست بالجو خانقاً بهذا الشكل. لم يكن هذا شعوراً جيداً، لا سيّما في بيتها. سألته: «أظن أنك تكذب بشكل طبيعي؟».

فهز كتفيه: «أفعل هذا من وقت لآخر، عندما تستدعي الحاجة».

نظرت إليه متفحصة. هذا الغريب... كيف يمكن لشخص بمثل

www.elromancia.com

هاتين العينين الدافئتين أن يكون بهذه البرودة؟ وكيف ستعلم أيّ كلمة من حديثه صحيحة إذا كان معتاداً على الكذب؟

وفوجئت بقهقهة عالية منه: «صدمتك، أليس كذلك؟».

- لا أدري إذا كانت كلمة صدمة هي المناسبة. ما يدهشني هو تقبّلك للأمر. لكن، لعل هذا ما كان في أذهانهم عندما اختاروك لهذا الدور. ولعل الكذاب الخبير يعلّمني أصول ذلك.

فقال بالابتسامة نفسها: «ربما ولكن قد يكون العكس هو الصحيح؟».

تفرست فيه لحظة وهي تومئ موافقة: «نعم، هذا ما سنعرفه في النهاية».

تابع نزول السلم بخطوات منضبطة. وعندما أصبح فوقها تماماً، أحنى وجهه فوق وجهها، وسألها بصوت منخفض: «كيف نجعلهم يصدقون أننا عاشقان، يا كيتلين رورك؟».

عندما نظرت في عينيه ابتلعت ريقها بصعوبة. كانتا مذهلتين حقاً. تنفست بعمق فوجدت رائحته مهدئة تعبق برجولة واثقة. إنه رجل غير عادي.

قالت وهي ترفع رأسها: «أظن أنه من الأفضل أن نحاول التعارف بشكل أفضل».

فرفع حاجبه: «وكيف نفعل هذا؟».

- الحديث هو الأسلوب المعتاد. يفترض أننا فعلنا هذا مدة أشهر عبر الإنترنيت، أو يمكن لكل منا أن يسجل الأسئلة التي يرغب في أن يطرحها على الآخر ويسلّمها له مكتوبة.

نظر إلى وجهها المتوهج حماسة، وإلى عينيها اللامعتين وابتسامتها العريضة. يا إلهي... من تراها تكون؟ أليس في بلاد العجائب أم ماذا؟ بدت وكأنها في العاشرة من عمرها: «لا تتحمسي يا حلوة فهذه مجرد

أسئلة وليست شيكاً ضخم للصرف».

تلاشت ابتسامتها: «أنت قليل الأدب حقاً».

- لماذا؟ لأنني أطفأت حماستك؟

حملقت فيه وهي تضع يديها على وركيها: «تملكتني الحماسة لأننا قد نتمكّن من النجاح، فهل هذا يعني أن تقضي على حماستي؟ لماذا وافقت على هذا البرنامج ما دمت لا تنوي أن تنجح في النهاية؟».

- بل أنوي النجاح في النهاية. وسأفعل كل ما يضمن ذلك.

- إذن، فكرة العمل على ذلك فكرة سيئة...

- أنا لم أقل إنها فكرة سيئة.

فدهشت: «لكنك قلت لتوك..».

ابتسم إيدن بهدوء: «كل ما قلته هو أن عليك ألاّ تبتهجي كثيراً لتوقع النصر. الأمر ليس من الأهمية بحيث يتوجّب على الواحد منا أن يعرف كافة التفاصيل عن الآخر».

ارتعشت كيتلين. لم تر رجلاً مثله قط من قبل.

كيف سيتمكنان من الانسجام بحيث يخدعان الآخرين، إن كانا لا يستطيعان أن يتبادلا حديثاً بسيطاً؟

تأمل المشاعر المختلفة التي ارتسمت على وجهها واستمر في الابتسام خفية. لم تستطع أن تفهمه وهذا ما أعجبه وجعله يشعر بقدرته على التحكّم بنفسه. شعر بحاجة لأن يهز عالمها الأنيق الصغير ويبث الاضطراب فيه، قصاصاً لها على عيشها مثل هذه الحياة المكتملة اللعينة.

- أنت حقاً خارجة من برامج التلفزيون لعام ١٩٥٠، أليس كذلك؟

طرقت كيتلين بعينيها لسماعها هذا الصوت الذي تناهى إليها من آخر ردهتها. كان عليهما أن يمضيا بعض الوقت في بيتها ليتعارفا، لكن عندما وافقت على ذلك لم تكن تدرك أنها ستبقى تحت سقف واحد مع شخص

مزعج إلى حد لعين.

كان كل منهما قد وضع عدداً من الأسئلة ليطرحها على الآخر، ثم انسحبا إلى جهتين مختلفين من المنزل. وبعد أربع ساعات من الإطلاع على التفاصيل شعرت بدوار في رأسها فارتدت ثياب نومها وذهبت إلى السرير.

كان باب غرفتها مواربا فاستطاعت أن ترى الضوء يتسرب من حيث ينام إيدن على سرير في الردهة. كانت واعية لوجود إنسان آخر يشاركها مجالها، لكنها لم تشعر بالراحة نفسها فيما لو كان هذا الشخص صديقاً أو قريباً للأسرة.

وتنهدت: «ماذا يعني هذا بالضبط؟».

- كل ما في حياتك أنيق وجميل، تباً لذلك!

- أنا أحب البيت الأنيق المنظم.

يساعدها على ذلك أنها لا تسكن فيه كثيراً، لكنها لم تقل له ذلك.

- لم أكن أعني بيتك فقط.

استدارت لتواجه الباب: «ماذا تعني إذن؟».

- أعني حياتك كلها. أسرة صغيرة مترابطة، مجموعة من الأصدقاء، مهنة رائعة. حياتك كلها منظمة.

- لكن ليس لديك فكرة عن ماهية حياتي.

- أنا هنا لدراستها.

- لن تعرف الحقيقة عن حياة شخص ما، عن طريق أسئلة عن مقاس قدمه أو اللون الذي يحبه.

ساد الصمت للحظات، ثم سمعت كيتلين صرير سريره وهو يتململ: «أخبريني بأمر لم يرد في أسئلة الاستطلاع».

- مثل ماذا؟

- أمر لن يعرفه عنك إلا شخص أنت مغرمة به.

قطبت جبينها لسماع كلماته هذه. إنه يتطلّع إلى معلومات شخصية، ما يعني أن عليها أن تمنحه شيئاً من ذاتها ولم تكن تريد ذلك حقاً. لم تشأ أن يعرف هذا الشخص الذي لا تشعر نحوه بالكثير من المودّة معلومات تبقى معه حين يرحل نهائياً بعد ثلاثة أشهر.

أصغى إيدن عسى أن يسمع أيّ حركة، لكن عندما لم تجبه، قال حابساً أنفاسه: «كيتلين؟».

- ما زلت هنا.

ابتسم لصوتها الخافت. يبدو أنها لا تريد أن تخبره شيئاً.

- ماذا حدث؟ أهو سرٌ تخفينه؟ هيا، أخبريني وأعدك بأن أنساه حالما ينتهي العرض.

دست وجهها في وسادتها وشتمته، ثم اعتدلت في جلستها وتنفست بعمق: «ستتبادل... ستحصل مني على موضوع، فيما أحصل أنا منك على بديل».

فكر لحظة في عرضها هذا، ثم أجاب: «اتفقنا».

انتظرت كيتلين لحظة طويلة ثم سألته: «ماذا؟».

- أنا أفكر.

- لا تجهد نفسك.

أسند نفسه إلى مرفقه وأخذ يحدق في الباب: «هذا غريب. كيف حدث أنه ليس لديك صديق أنيق يكمل الصورة؟».

تباً له ولسؤاله هذا! وأجابت: «لعلي أحب أن أكون عزباء».

- أنت في الثامنة والعشرين من عمرك، وفي الخمسين ستعتبرين عانساً. ألا تودّين أن ترزقي بأولاد تغسلين وجوههم وتروين لهم الحكايات قبل النوم؟

- هذا سؤال ثانٍ.

نهضت متكئة على مرفقها وأخذت تفكر في جوابها. هل تجيب أم لا

www.elromancia.com

تفعل؟ هذا السؤال.

- كان لي صديق.. خطيب.

- ماذا حدث له؟.

أخذت نفساً عميقاً ورددت: «لقد مات».

ارتمى إيدن على ظهره ونظر إلى السقف عابساً: «كيف؟».

- كان لديه دراجة نارية يقول إنه يحبها بقدر ما يحبني.

- هل كان هذا منذ وقت بعيد؟

أرادت أن تجيبه بأن هذا حدث بالأمس. مرت لحظات كانت تشعر فيها وكأن هذا حدث أمس فقط، لكن هذه اللحظات أخذت تتباعد الآن ولم تعد كما كانت عليه في البداية، واستحال الألم الذي شعرت به في بادئ الأمر خدراً. وأجابته: «خمس سنوات تقريباً. تعارفنا في المدرسة الثانوية».

سمع إيدن في صوتها نبرة أمر واقع وهي تتحدث عن أمور لا بد أنها آلمتها في وقتها. لا بد أن هذا أحدث شرخاً عميقاً في حياتها، وقال: «أنا آسف».

أدهشتها الرقة في صوته التي بدت مختلفة تماماً عن اللهجة الساخرة التي حدثها بها طيلة الأمسية، فعادت تندسّ بين الأغطية المخملية. هاتان الكلمتان اللتان انطلقتا بتلك الرقة جعلتاها تلتمس نوعاً من الراحة أكثر بساطة.

طرفت بعينيها ثم أجابت بعد لحظات بالرقة نفسها: «شكراً».

عاد السكون يغمر المنزل، حتى ارتفع صوتها يقول: «ليس لديك صديقة ثابتة إذن؟».

ضحك قائلاً: «كلا. ما من شيء منتظم في حياتي».

- إنك إذن تنتقل من واحدة إلى أخرى

- حذار، يا كيتلين. أشعر وكأنك لا تكنين لي الكثير من المودّة.

- وهذا يؤذي شعورك، أليس كذلك؟

- حسناً، إذا كنت تظنين أن لدي مشاعر وأنني لم أهزم بعد.

أدار وجهه ليبتسم للباب: «يا للروعة».

دهش إيدن عندما ساد الصمت مجدداً. إنها تسكت بسهولة، وكادت تملكه خيبة أمل. ولم يكن هذا يعني أنه يريد أن يتعمق في تحليل طبيعة حياته، لكنها حدثته عن أمر شخصي جداً، وشعر بأنه يدين لها برد، وقال: «ستة أشهر».

- ماذا؟

- ستة أشهر هي المدة التي يمكنني أن أبقى فيها على علاقة بأي امرأة.

أخذت تفكر في هذا الاعتراف غير المنتظر، وسألته: «لماذا؟».

- لأنني أستهلكهن.

فضحكت للنكتة: «أراهن على هذا».

فابتسم: «لا أظنني من النوع الصالح للزواج».

فذكرته بما قاله لها: «ألا ترغب في أطفال تغسل وجوههم وتروي لهم حكاية قبل النوم؟».

عاوده وجع المعدة، وقال: «ليس لدي أي خبرة في هذين الأمرين».

التفتت إلى الباب: «ألم تكن أمك تغسل وجهك وتروي لك حكاية قبل النوم؟».

لم يعرف أياً من هذا. كان لديهم أطفال كثر ما جعل إطعامهم يومياً معجزة حقيقية، ولم تكن الحكايات على قائمة أعماله في أي مرحلة من حياته. قال لها: «هذا سؤال ثانٍ».

فتحت فمها لتجيب، فسبقها قائلاً: «هذا يكفي لليلة واحدة. تصبحين على خير يا كيتلين رورك».

وتعالى صرير السرير وهو يتقلّب، قبل أن يطفئ النور بجانبه.

طرفت كيتلين بعينيها في الظلام، وراحت عيناها تميزان أثاث غرفة نومها في العتمة بينما أخذ عقلها يعمل بسرعة. ثمة جوانب في شخصية إيدن أكثر مما بدا عليه في البداية ما أثار فضولها.

وأزعجها شعورها هذا بالفضول.

لم تعرف شخصاً مثله من قبل. لكنها وبكل بساطة لن تراه مرة أخرى بعد ثلاثة أشهر.

وأجابت: «تصبح على خير، إيدن».

٤ ـ الرجل الغامض

استبدلت آلات التصوير المثبتة في المنزل بمصوّر ومهندس صوت أثناء النهار. ومع حلول الظهر كانت كيتلين تعرف عنهما أكثر مما تعرف عن خطيبها المزعوم.

وأثناء الحديث معهما، أطلعاها على معلومات قد تكون بسيطة وعامة، لكنها تعطي فكرة عن شخصيتيهما وحياتيهما فيما تجنب إيدن كل ما يمت إلى الموضوع بصلة حتى بدا لكيتلين وكأنه جاسوس، ما عدا ذلك الوقت القصير حين تحدثا من غرفتين منفصلتين عبر الردهة.

شقت طريقها بصعوبة في زحمة السير متجهة إلى مطعم «ما غاير» حيث ستتناول الغداء مع ميك وجو. حلمها بإنشاء مطعم أصبح بعيداً ما جعلها ترى أنه من الأفضل أن تتخذ لها عملاً لتملأ وقتها على الأقل. لكن وبوجود إيدن فين، رجل الغموض العالمي القابع في بيتها، أصبح التركيز على الطهي أمراً مستحيلاً.

تركت المطعم، مدعية أنها مصابة بصداع ثم صعدت إلى سيارتها مع ميك وجو، واتجهت إلى البيت.

وجّه ميك آلة التصوير إليها وهو يسألها: «إذن، ستصحبين إيدن غداً إلى بيت أسرتك لكي يتعرف إلى والديك؟».

عبست قليلاً لهذه الفكرة ثم قالت: «هذه هي الخطة».

- هل أنت قلقة؟

- كلا.

www.liilas-romancia.com

ضحكت ثم أردفت: «في الواقع، أسرتي متضامنة جداً. بعد أن مات خطيبي ليام، ساعدوني جميعاً على التماسك. عندما لم أكن أستطيع أن أقف، كانوا يحضرون لي الطعام إلى السرير فيما يجلس أبي بقربي يرفه عني ويسليني».

وألقت نظرة على آلة التصوير، وابتسمت بحزن: «عندما كان أحدنا يتعب يأتي آخر ليأخذ مكانه. هكذا نحن».

- هذا نادر، رائع.

- نعم، إنه كذلك.

شقّت طريقها، وعقلها مركّز على القيادة لئلا تصطدم بسيارة أخرى، لكن عندما أصبحوا خارج المدينة، واتجهوا نحو الضاحية، عاد ذهنها إلى ذاك اليوم الخريفي المشمس.

- أما زلت تفتقدينه، يا كيتلين؟

فاجأها هذا السؤال الذي يفيض رقة إذ مضى وقت طويل منذ طرحه عليها أحد. فكرت فيه لحظة، فيما توالت الذكريات في ذهنها، ثم ابتسمت بكآبة وهي تجيبه: «أفتقد صوته أحياناً حين يتكلم».

- أترغبين في أن تجدي شخصاً من عمرك بجانبك؟ لا سيّما إذا كنت تحبينه؟

بقيت تبتسم وعيناها على الطريق فيما ذهنها يعود إلى الماضي: «كان ليام يعيش لحاضره، كان دوماً يقول إن الحياة أقصر من أن يمضيها الإنسان في جمود».

ونظرت إلى آلة التصوير مرة أخرى: «لعله كان يعلم».

توقّفت أمام بيتها... أطفأت المحرك ثم رفعت بصرها إلى النوافذ. هل ينظر إليها؟ إيدن فلين، الرجل الغامض؟

- هل يختلف إيدن عن ليام؟

أثار هذا السؤال ضحكة قصيرة: «كاختلاف الليل والنهار».

- إيدن؟

- أنا في المطبخ. أليس من المفروض أن تقولي (مرحباً، يا حبيبي. لقد عدت إلى البيت»؟

ابتسمت وهي تتوجه إلى المطبخ ثم قالت: «سأتذكر هذا في المرة القادمة».

ونظرت إلى الفوضى في مطبخها الشديد الترتيب عادة: «ماذا تفعل؟».

فرفع حاجبه: «كنت جائعاً».

- فقررت أن ترتكب مجزرة في المطبخ؟

- كنت في أحسن حال لو عدت في موعدك، لكنك جئت مبكرة.

وعندما أشار إلى مرافقيها، قالت لهما: «إن لدي صداعاً».

بدا الاهتمام في عينيه: «هل أنت مريضة؟».

استقرت عيناها على الملعقة في يده التي يقطر منها سائل أحمر على موقدها. وقالت: «كلا».

- لقد تقدمنا جيداً في هذه الأكذوبة، أليس كذلك؟

بقيت تنظر إلى النقاط وإلى البركة الصغيرة التي تكوّنت.

أخذ يتأمل وجهها: «ما الذي يجعل كذبة ما كبيرة وما الذي يجعلها بيضاء»؟

- نظرياً، الكذبة هي التي لا تؤذي أحداً بل قد تصون مشاعرهم. هذا يعتمد على الوضع.

وبحثت عيناها عن خرقة وهي تسأله: «ما الذي يقطر منك على الأرض؟».

- إني أضع الجبن على البازلاء على الخبز المحمص.

- ماذا تفعل؟

ابتسم كاشفاً عن أسنان ناصعة: «الجبن على البازلاء على الخبز

المحمص. ألم تسمعي بهذا من قبل؟ وتسمين نفسك طاهية؟».

- أنا أطهو طعاماً لذيذاً.

- وهذا مذاقه لذيذ. صدقيني.

وأخذ يلوّح بالملعقة ناثراً قطرات صغيرة حمراء على قميصه الأبيض المقفل.

عبست وقالت له بحدة: «أنا واثقة من أن مذاق الهواء في فمي أفضل من طعامك هذا».

- حسناً، لن أعرف هذا وكيف أعرفه وأنت ترفضين أن تقبّليني...

قالت متجاهلة كلامه: «من الأفضل أن تغسل قميصك قبل أن تجف البقع وتلتصق بالقماش».

نظر إيدن إلى آلة التصوير، ثم تأمل الاحمرار الذي صبغ وجنتيها: «أنت تعلمين أن عليك أن تفعلي ذلك في وقت ما».

- لقد تسببت بهذه القذارة وعليك أن تنظفها.

- لم أكن أتحدث عن القذارة.

- لكنني أتحدث عنها.

ورفعت رأسها لتنظر في عينيه مباشرة فقال وهو يبادلها التحديق: «يجب أن يحدث هذا ليكون عملنا مقنعاً».

- وبعدئذ، ستقترح أن تتطور علاقتنا أكثر ليكون تمثيلنا واقعياً. أنا لم أوقع على مثل هذا الأمور.

ونشطت مخيّلته بفعل كلماتها فقطب جبينه. ستة أشهر من الوحدة جعلته فجأة مهووساً.

- حبيبتي، عليك أن تنتبهي لما تؤكدينه بثقة بالغة.

- لن أعانقك وعلى وجهك هذه اللحية، إنسَ ذلك!

- هل تكرهين اللحى لسبب ما؟

- في الحقيقة، نعم.

- وما هو...؟

بقي ينتظر جوابها وهو يحرك البازلاء، وعندما لم تتكلم، نظر إليها بجانب عينه: «حسناً؟».

تملكها الغضب لقدرته على إغضابها، بينما هي عادة هادئة ومنضبطة. إيدن قادر على أن يقدح شرارة في داخلها من مجرد نظرة أو تصريح أو ببقع من حساء البندورة على الموقد.

سألته: «حسناً ماذا؟».

نقل المقلاة عن الموقد من دون أن يتكلم.

وتنهدت محبطة: «اللحية خشنة تخدشني».

أخفى ابتسامته وهو يخرج الخبز المحمص ويضعه في طبقين بينما تابعت هي: «كما أن شعر اللحية يحدث طفحاً على الجلد الحساس».

وتكونت في مخيلته صورة أخرى: «لم تريني ذلك قط».

- ولن أفعل.

- يا للمتعة الضائعة!

ابتسمت وهي تتقدم لتراقب عمله الذي بدا شهياً.

وعندما أصبحت بجانبه، أخفضت صوتها وسألته: «أتراك تغازلني يا إيدن فلين؟».

فسألها وهو لا يزال يركز اهتمامه على عمله.

- وهل نجح هذا معك؟

فمالت نحوه وهمست: «لا».

فابتسم وهو ينهي تحضير آخر شريحة من الجبن: «يبدو أني لا أفعل هذا».

وحمل الطبق وحركه تحت أنفها وهو ينظر في عينيها: «لو كنت أغازلك لنجحت».

تأملت عينيه الشديدتي الزرقة بحثاً عن أجوبة... عما وراء شخصيه

المتناقضة. لكن جلّ ما رأته هو لمعان التحدي وكأنه يلهو بها، ولعله يفعل ذلك فعلاً. لعل ما يريده من الأشهر القليلة التالية هو التمادي بعض اللهو. يبدو أن ليس لديه ما يخسره مثلها، إذا لم تنجح التجربة.

- أريد أن ينجح هذا الأمر، يا إيدن.

فنظر إليها متسائلاً: «أتعنين العرض؟ لماذا هو بهذه الأهمية؟».

تجنبت نظراته المتسائلة وهي تقول: «إنه مهم وحسب».

وكان إيدن قد قرأ رأيها بالنسبة إلى العرض وحفظه عن ظهر قلب: «أأنت مضطرة لامتلاك ذلك المطعم؟».

- بقدر ما أنت مضطر لتمويل ما تحتاجه ولتبقى سنة من دون عمل.

بقيت نظراته ثابتة وهي تنظر إليه. كان هذا ما رد به على الأسئلة التي وجهت إليه.

وكان هذا صحيحاً نسبياً، فهو بحاجة إلى ما يقدمه العرض لكي يؤخر الوفاء بوعد، لإستلام إرث. لكن الكلمات التي كتبها لم تعبّر حتى عن نصف الحقيقة.

أدرك من النظرة التي بدت في عينيها أنها تريد أن تعلم المزيد فيما لم يكن مستعداً لأن يدلي حتى بنصف جواب، بل قال: «الأمر مهم بالنسبة إليّ أنا أيضاً».

بدت وكأنها تفكر في حثه على إيضاح كلامه، لكنها غيرت رأيها وقالت: «إذن، فموقفنا واحد».

- هذا ما أظنه.

مدت يدها لتأخذ الصحن منه وهي تقول: «عليك إذن أن تكف عن الاستخفاف بالأمر».

- أليس هذا ما أفعله؟

- أليس كل ما تجعلنا نقوم به هو اللعب على الكلام؟

- اللعب هو ماهية هذا الأمر فلماذا لا نستمتع به؟

خطر لها أن السبب يكمن في أنها قد تفقده. تجنبت النظر إلى عينيه القاتمتي الزرقة، ثم سارت حاملة طعامها إلى المائدة المطلة على الفناء.

- لكي ننجح علينا أن نعمل معاً، أن نركّز على ما نفعل من دون أن يشغلنا أيّ شيء آخر. ولا يمكننا القيام بذلك ما دمت تسخر مني.

حمل صحنه ثم تقدم ليجلس معها قائلاً: «علينا أن نتصرف وكأننا في مخيّم عسكري، أليس كذلك؟ ندرس ونتدرب على كل كلمة أو إشارة؟».

قطبت وهو يجلس ويناولها الشوكة والسكين: «نعم. علينا أن نخطط لكل ما علينا أن نقوم به».

فكر في كلماتها لحظات، ثم سألها بهدوء: «هل تديرين حياتك بهذا الشكل؟ كل شيء مخطط له مسبقاً؟».

فقالت وهي لا تزال مقطبة لأنه لا يتفق معها في الرأي: «هذا هو منطق الأمور. ضع لنفسك هدفاً واعمل حتى تصل إليه. وأظن أنّ هذا غريب على طبعك وطريقتك البوهيمية».

- لا يمكن التخطيط لكل شيء مهما حاول الإنسان. هذه هي الحياة. كان عليك أن تدركي ذلك مما حدث لخطيبك.

شعرت بكلماته تنسفها نسفاً فتملكها الغضب: «كيف تجرؤ؟».

ووقفت وأخذت تحملق فيه من أعلى مضيفة: «كيف تجرؤ على أن ترمي بهذا الكلام في وجهي وكأنني ارتكبت خطأ بسيطاً أفسد خطتي الرائعة لحياتي؟ خطأ كان عليّ أن أخطط له؟».

ابتلع طعامه وهو ينظر إليها مقطباً: «لم يكن هذا ما عنيته».

- بل هذا ما عنيته بالضبط. أنت تحاول أن تثبت أن طريقتك في العيش، في الانتقال من فرصة إلى أخرى من دون أي ارتباطات عاطفية أو قيود، هي الطريقة الأفضل للعيش.

بقي هادئاً وهو يقول: «لم أقل هذا».

- أنت من لم تدم أيّ علاقة من علاقاته أكثر من ستين ثانية!

- بل قلت ستة أشهر.

تجاهلته وتابعت تقول: «أنا، على الأقل، عرفت الحب في حياتي، رغم أني حرمت منه قبل أن نضع أيّ خطط».

وأمالت رأسها جانباً وحدقت فيه بعينين لامعتين: «لن أتخلى عن ثانية واحدة منه. فهل لديك في حياتك ما يمكنك أن تقول عنه، صادقاً، الشيء نفسه؟».

لم تنتظر منه جواباً، بل دارت على عقبيها وغادرت الغرفة بسرعة، لتركض إلى غرفتها وتصفق الباب خلفها بهدوء.

٥ - رجل يحب الغزل

أصغى إيدن إلى خطواتها وهي تصعد السلم راكضة، ثم تناهى إليه صوت بابها يصفق.

أخذ نفساً عميقاً، ومال إلى الخلف في كرسيه.

سمع حركة بجانبه، فالتفت ليرى ميك يقرّب آلة التصوير منه.

قال إيدن من دون أن ينظر إليه: «ابتعد يا ميك».

- لا أستطيع وإلا قتلني رئيسي.

- بل سيلكمك إذا لم تفعل.

ورفع بصره إلى عدسة التصوير: «أنت تعرف قوة لكمتي».

فقال ميك من خلف آلة التصوير ضاحكاً: «إننا حساسان للغاية اليوم، أليس كذلك؟».

- ميك...

كانت نظراته كافية لتجعل أي رجل يتراجع خطوات، لكن ميك استمر في الضحك: «ينصّ عقد عملي على أن أصوّر كل شيء. إنها قوانينهم».

- أنا من وضع تلك القوانين اللعينة.

- حسناً، أنت من حفر..... تلك الحفرة إذن؟

هز رأسه وهو ينظر إلى الفناء الخارجي خلف كتف ميك: «ذكّرني بألاّ أستخدمك مرة أخرى».

استمرت آلة التصوير تعمل بينما بقي إيدن ينظر إلى الفناء. وبعد دقائق من الصمت، قال ميك بصوت رقيق: «أتجد هذه المرأة صعبة

www.elromancia.com

المراس؟».

فأجاب بشبه ابتسامة: «ليست كما كنت أتوقع».

وعاد بالذاكرة إلى المعلومات التي جمعها قبل بدء هذا العرض والخطة التي وضعها. كان في ذهنه نوع من النساء لكن كيتلين رورك شكّلت مفاجأة له.

كانت... أكثر مما توقع.

- إنها أكثر تعقيداً.

- هل كنت تتوقع فتاة حفلات ولهو ترى في المسألة مجرد لعبة مرحة؟

- لعل هذا صحيح.

وبعد لحظة صمت، عاد ميك يقول: «كما قالت كيتلين لتوّها».

حملق إيدن فيه قليلاً، ثم أغمض عينيه وتنهد: «ربما».

- لكن الأمر ليس لعبة بالنسبة إليها.

فتح عينيه ثم ابتسم ساخراً: «نعم. فامتلاكها منزلاً جميلاً لتعيش فيه بمفردها كثير».

قطب ميك قليلاً وسأله: «وهل هذا خطأ في نظرك؟ هل هي مخطئة في الحصول على هذا المنزل لأنها شابة؟».

- الأمور الهامة تكون أحلى عندما تتعب وتضحي للحصول عليها. فعندنا تصل على هدفك تجده يستحق تعبك.

- هل هذا أشرف من أن تعبّد طريقك بالأكاذيب؟ أو تخدع الناس الذين يهمك أمرهم طوال الطريق؟

- أظن ذلك.

وكانت آلة التصوير مستمرة في الدوران.

- كان طريقها سهلاً حتى الآن. كل حياتها منظمة ومرتبة.

- ما عدا قضية ليام.

- هل كان هذا اسمه؟

أومأ ميك من دون أن يحرك آلة التصوير بينما قال إيدن وهو ينظر إلى السقف: «كان ذلك مؤلماً، ولا يزال على ما يبدو».

ووقف عابساً ثم نظر إلى آلة التصوير مرة أخرى مضيفاً: «لا أظن أن بإمكاني أن أقنعكما بالبقاء ريثما أذهب وأعقد معها صلحاً».

فأومأ الإثنان معاً.

* * *

- كيتلين؟

لكن الصمت هو الذي أجاب من الناحية الأخرى من باب المغلق.

تبادل إيدن النظر مع الرجلين، ثم عاد يقول لكيتلين: «إسمعي. لم أكن أقصد الإساءة إليك حين تحدّثت عن خطيبك».

استمر الصمت بينما هز ميك كتفيه وابتسم جو بضعف.

وتناهى إليه صوت خافت من وراء الباب: «ما الذي قصدته إذن؟».

فكر في جوابه جيداً قبل أن يقترب من الباب قائلاً: «حاولت فقط أن أشير إلى أننا لا نستطيع أن نخطط لكل شيء، سواء أنا أو أنت».

ساد صمت عميق فيما وضع إيدن جبينه على الباب محاولاً أن يجد ما لا يوتر الوضع بينهما مرة أخرى.

- لا أعرف كيف سننهي هذا الأمر إن لم نخطط له. إن أسرتي تعرفني جيداً.

كان المطعم يعني لها أكثر مما يستطيع أن يفهم. شعر أن عليها أن تكون شجاعة لتديره بمفردها. عليها أن تعمل وتكافح لتحصل على ما تريد بدلاً من أن تحصل عليه من مشروع يجلب لها الغنى بسرعة. إنه يعلم جيداً أنها تملك من الثبات والتوازن ما يجعلها تواجهه وتحاربه إذا اعتقدت أنه خرج عن حده، فإلى أيّ مدى قد يصل رد فعلها إذا كان عليها أن تحارب من أجل حلمها؟ لم يكن هذا واضحاً.

لكنه فتح جرحاً قديماً ما جعله يشعر بالذنب. ولعل أحسن طريقة

www.elromancia.com

للتخلّص من هذا الشعور الكريه هو أن يسعى لإرساء الصلح بينهما.

- أخبريني كيف.

تصاعد صرير السرير، وتصورها تستدير لتنظر إلى الباب: «مع ليام؟».

- نعم. مع ليام.

- كنا نتغازل كثيراً.

فابتسم: «لكنك انزعجت عندما غازلتك».

- لانك قلت إنك لم تكن تغازلني.

عبس قليلاً لآلة التصوير، ثم جلس على الأرض وظهره إلى الباب: «لعلي كذبت عليك. قلت لك إنني أكذب عندما يكون ثمة سبب لذلك».

- ولماذا فعلت ذلك؟

- أتعنين الغزل أم الكذب عليك؟

- الأول.

- لعلي رجل يحب الغزل.

فقالت: «لا، لست كذلك. أنت أكثر تجهماً من ذلك».

- أتريني متجهماً؟

وألقى نظرة على مرافقيه فرآهما يبتسمان فتابع قائلاً: «لا بأس، أظن أنّ بإمكاني أن أكون كذلك... قليلاً. لكن لعلك تثيرين في شخصيتي ناحية الغزل».

- لكنك لا تشعر نحوي حتى بالمودة، يا إيدن.

ليس صحيحاً أنه لا يشعر نحوها بالمودة، وهذا هو أحد الأسباب التي أثارت ذعره. عندما أمضى الصباح وحده في بيتها، أجرى بعض التحريات فوجد الكثير من الصور لها وللأسرة وقد أعجبه جداً ما رآه. لم تكن هذه هي المشكلة.

- لعلي أحسدك قليلاً، كما أحسد من هو مثلك.

سكتت لحظة ثم سألته: «لماذا؟».

- لأنه ليس للكل مثل هذه الحياة الخرافية التي لديك.

- خسارة ليام لم تكن أمراً سهلاً أبداً، أو خرافياً.

قال برقة بالغة: «أعرف هذا، وأعرف أنك قد لا تنسيه أبداً. لكنك كنت على حق في ما قلته. أنت محظوظة لأنك عثرت على ذلك أصلاً، فهذا لا يحدث لكثير من الناس، هذه الأيام».

وبعد صمت قصير، ترك الكلمات تتدفق: «كما أن لديك أسرة رائعة ومتضامنة بحيث يساعدونك جميعاً. ولهذا السبب اختارك هذا العرض، ليروا إن كان بإمكانك أن تجعلي الناس الذين يعرفونك جيداً يصدقون كذبتك».

- ولماذا اختاروك أنت؟

لم يختاروه بل هو من اختار نفسه بنفسه. فالدور الذي عليه أن يلعبه معقد بحيث لا يمكن إلاّ للشخص الذي ابتدع هذا الأمر منذ البداية، أن يعلم ما الذي ينبغي فعله عندما تتعقد الأمور، للحصول على النتيجة المثيرة التي يريدونها.

لكنه تطوّع أيضاً لأن شخصيته تناقض شخصية كيتلين من كافة النواحي. وأجابها: «لأنّ شخصيتي مناقضة لشخصيتك».

- من أيّ ناحية؟ ليس لديك أسرة، أليس كذلك؟

فعبس: «لا... أبداً».

وجعلته الشفقة في صوتها يشعر بالغثيان.

- إيدن؟

- ما الذي ستفعلين حيال هذا الأمر يا كيتلين؟ أن تنبذينني؟ لقد تجاوزت السن التي تسمح لك بذلك.

بدا صوتها أقرب إلى الباب حين قالت: «لهذا السبب ليس لديك خبرة في الحكايات الخرافية وأنت غير حليق الذقن؟».

- لا تبكي عليّ فثمة ملايين من الأشخاص حول العالم من دون عائلات. أنا كنت أحد المحظوظين، لأني حظيت بعدد كبير من الأسر.

- لهذا السبب قضيت حياتك تطوف البلاد، هائماً على وجهك، ولم تقم أيّ علاقة جادة أو تتخذ مهنة دائمة. فليس لديك أساس تستند إليه.

كانت مخطئة من هذه الناحية، لأن لديه مهنة، ومهنة جيدة جداً. لقد كافح لكي يصل إلى القمة في مهنته هذه لكنه لا يستطيع أن يخبرها بهذا كله، وإلا نسف كل شيء. وقال: «كان لدي علاقة جادة..».

- العلاقة الجادة تدوم أكثر من ستة أشهر.

وتصاعدت حركة عند الباب عندما جلست كيتلين من الناحية الثانية للحاجز بينهما: «كيف كنت معهن؟».

- كنت أغازلهن وأغضب وأغار. وكنت سعيداً.

بعد هذا الحديث، جلسا في تفاهم صامت فيما أغمض إيدن عينيه مرة أخرى للحظات. لقد أذهله أن يكشف هذا القدر من نفسه أمامها في مثل هذا الوقت القصير. كان يعلم أن تلفزيون الواقع غالباً ما يثير مشاعر الناس بشكل جاد لكنه لم يتوقّع أن يحدث هذا معه ما أدهشه. لكن ما أدهشه أكثر هو أنه لم يشعر بالضيق بل بدا له ذلك صواباً، وكأن صدقه مع نفسه خلّصه من حمل لم يكن يدرك أنه يحمله أينما توجّه.

ومن الغريب حقاً أن يحدث هذا مع امرأة مثل كيتلين.

كان صوتها منخفضاً هادئاً يكاد لا يسمع: «هكذا إذن ينبغي أن تتصرف معي».

- وعليك أن تتصّرفي معي كما كنت تتصرفين مع ليام.

- وهكذا يمكننا أن نخدع الكل ونوهمهم بأننا عاشقان.

بدا صوتها مختلفاً... متردداً، ومتوتراً قليلاً. كانت تواجه الحياة بشكل جديد مختلف عما تعودته طيلة حياتها حيث الأمور معدّة سلفاً... كانت هذه خطة كبرى بالنسبة إليها. وأدرك إيدن ذلك حالما

خرجت الكلمات من بين شفتيها:

«هذا ما سنفعله. سينظر الواحد منا إلى الآخر فيرى الأشياء الرائعة التي كان يراها في من أحبّهم، يتظاهر».

شعر إيدن بموجة تشبه الخوف تعتصر صدره وأجاب: «نعم».

www.elrom-roomeya.com

٦ - الأختبار رقم ١

كان على ميك وجو أن يلازما إيدن في اليوم التالي، فوجدت كيتلين نفسها بصحبة جون ولويز.

اصبحت كيتلين معهما أكثر صمتاً، ولعل ذلك يعود إلى قلة نومها.

بعد تلك الهدنة بينها وبين إيدن، أمضيا الوقت في مشاهدة صور أسرتها الفوتوغرافية. يتحدثان عن نشأتها مع أخت وأخوين، وعن التذكارات الطفولية وماذا يفعلون الآن بعد أن كبروا فيما كانت واعية طيلة الوقت إلى أن ليس لديه ذكريات مثلها.

ولم تسأله عن طفولته حتى عادا يستلقيان في الظلام كلّ في ناحيته من الردهة. بدا الأمر أسهل بهذا الشكل، أن تطرح الأسئلة في سكون الليل، ومن دون أن يضطرا إلى النظر في أعين بعضهما البعض. كان الليل أشبه بدثار أسود مريح يغطيهما.

وقد احتاجت إلى ذلك الدثار عندما أخذ يتحدث بصوته العميق المليء بالرجولة والرقة. حدّثها عن نشأته بين «أسر» متعددة مختلفة، وعن أعياد الميلاد في طفولته حين كان يرجو عودة أبويه، وعن استيائه في مرحلة المراهقة.

وبعد أن عاش هذا كله، نشأ مصمّماً على تأسيس حياة أفضل، من دون اهتمام بما كانت عليه البداية، لكن الجراح القديمة كانت عميقة. وقد ظهر هذا جلياً حتى عندما حاول أن يمزح وهو يروي بعض أحداث طفولته التي لم يستمتع بها. أمضت ساعات محاولة أن تصل إلى ذلك

الصبي الصغير، أن تحتضنه وتريه المحبة التي عرفتها هي عندما كانت صغيرة.

لكن ذلك الصبي رجل.

فكرت في ذلك طويلاً بعد أن أنهيا حديثهما وسمعت تنفّسه المنتظم وهو يستغرق في النوم. أي رجل هو هذا؟

تعرّفت على بعض الأمور البسيطة، مثل كيف يحب قهوته وحبه للطهي البسيط لكنها لم تتغلغل كثيراً في الأعماق. فهو مازال إيدن طين الرجل الغامض الذي يثير فضولها.

لكنها لا تستطيع أن تسمح لنفسها بأن تفتتن به، فهذه ليست علاقة جديدة قد تتطوّر بشكل طبيعي وتنتهي بصداقة، أو أيّ شيء آخر. فهو سيرحل بعد أن ينتهي العرض. واقع أن طريقيهما لم يتقاطعا من قبل يثبت مدى اختلاف عالميهما في الواقع.

قطبت من خلف نظارات الشمس التي تضعها وهي تقود سيارتها إلى منزل أسرتها تحت أشعة شمس الخريف. وبالرغم من أنهما كانا يجدان سبيلاً صغيراً للتواصل بينهما، إلاّ أنّ ثمة ما يجعلهما متوترين. وهذه الاتفاقية الجديدة بأن يعامل أحدهما الآخر كما لو أنهما عاشقان، كانت تزيد من توتر أعصابها.

أوقفت سيارتها أمام المنزل الريفي، ثم بقيت جالسة لحظة تحدّق في الباب الأمامي. كل إحساس بالأمان شعرت به كان بين هذه الجدران. هنا نشأت في رعاية أسرة مترابطة زادت من قوتها لعلمها أنها ليست وحيدة في هذا العالم. فمهما أخطأت أو مهما عرفت من ظروف سيئة، كانت تعود إلى حيث تجد دوماً ذراعين مفتوحتين لاحتضانها.

بيع هذا البيت لا يعني بيع الحجر والقرميد وحسب، بل التخلي عن الكثير من الذكريات وعن حب أبويها وأسرتها. وهي لا تستطيع أن تدع هذا يحدث.

رفعت نظارتها الشمسية عن عينيها ثم نظرت إلى آلة التصوير وهي تبتسم بشجاعة: «هنا يبدأ الاختبار الحقيقي».

سار الثلاثة إلى الباب العريض، وقبل أن تقرع الجرس، انفتح الباب ليأخذها أخوها الأكبر بين ذراعيه: «حان الوقت. ماذا فعلت، يا كيت؟ تركت «دبلين»؟».

بادلته العناق، قائلة: «لا يفترض بنا جميعاً أن نقود سياراتنا وكأننا في سباق».

كانت قيادة كونور للسيارة محط جدل دائم في الأسرة، وأخذ يتفحص وجهها، ثم ابتسم ابتسامة عريضة: «تبدين متعبة. هل يبقيك إيدن ساهرة؟».

احمر وجهها ولكمته على صدره: «هذا ليس من شأنك».

والتفتت إلى حيث تعالت أصوات مختلطة: «هل الكل هنا؟ لن يتأخر إيدن».

- إيدن هنا لكننا ننتظر كارا.

إيدن وصل وحده؟ وحده إلى عرين الأسد؟ يا إلهي العظيم! سوف تضغط عليه أسرتها مدة نصف ساعة فقط، وهو سيتني. ماذا يظن؟

- منذ متى وهو هنا؟

- منذ ساعة تقريباً. قال إنك طلبت منه أن يكون هنا في السابعة والنصف.

- بل قلت له الثامنة والنصف.

لقد كررت ذلك أربع مرات على الفطور، لكنه فعل هذا عمداً.

تركت كونور وتوجهت بسرعة إلى قاعة الجلوس الفسيحة التي يجتمعون فيها قبل العشاء. تعالت التحيات من كافة الأنحاء، لكنها لم ترَ إيدن. عمل ذهنها بسرعة: «أين أمي؟».

غمزتها زوجة كونور قائلة: «في المطبخ، تشوي إيدن».

استدارت كيتلين بسرعة كادت معها أن تصطدم بابن أخيها الأكبر، فانحنت ترفعه قائلة: «داني، أما زلت ابن أخي المفضّل؟».

ضحك الصبي وهي تضعه على الأرض: «أنا ابن أخيك الوحيد، يا عمتي كيت».

ربتت على رأسه، وقد تحوّلت نظراتها إلى الباب: «لكنك ما زلت المفضل لدي».

- هل سيصبح إيدن عمي؟

طرفت بعينيها وقد تملكها شعور بالذنب: «لن يحصل هذا إذا سرقته جدتك أولاً، يا حبيبي».

- أنا أحب إيدن، وأظنني سأدعوه عمي إيدن.

التوى قلبها وترددت قليلاً وهي تشعث شعره، قائلة: «أنا واثقة من أنه سيحب ذلك».

- سأذهب لأسأله.

وترك يدها ثم ركض في الردهة، فيما تبعته هي بخطوات سريعة...

- أهذا أنت؟

ضحك إيدن عندما ركض الطفل إليه مباشرة وانحنى لحظة قبل أن يمسك به ليبعده عنه قليلاً: «ماذا سألتني؟».

جمدت كيتلين مكانها تحدق إليهما ثم قالت بصوت متلعثم: «يريد أن يعرف إذا كنت تسمح له بأن يدعوك عمي إيدن».

هبّ إيدن واقفاً ونظر إلى وجهها وعيناه تومضان بينما جمدت كيتلين مكانها وهي تحدّق إليه وقد راح قلبها يخفق بينما تسارعت أنفاسها.

يا إلهي! ما الذي فعله بنفسه؟ وغصت بريقها. لقد حلق لحيته كما غيّر ملابسه.

بقيت تفحصه لبعض الوقت. لقد قص شعره. إيدن فلين الذي عرفته منذ أقل من ثماني وأربعين ساعة ما كان ليحظى منها بالتفاتة لو صادفته في

www.elrotanaa.com

الشارع. ولكن هذا الرجل...؟ هذا الرجل مختلف تماماً.

الخطوط العميقة الزرقة في قميصه جعلت لون عينيه يبدو أشد زرقة.

كان شعره غير المنتظم مقصوصاً الآن بشكل يبدو كصبي مشاغب كما ظهرت غمازتان في خديه عندما ضحك لها. غمازتان...! وغصت بريقها مرة أخرى. إيدن فلين، الرجل الغامض؟، يا للروعة! من كان يظن ذلك؟

بقي يبتسم لها وهو يقول: «لقد تأخرت».

وأخيراً، رفعت رأسها قليلاً وأجابته: «كلا ياقوي الذاكرة، أنت من أتى مبكراً. اتفقنا على الساعة الثامنة والنصف».

فقال وهو يطرف بعينيه ببراءة: «أحقاً؟».

- نعم.

شعث شعر داني ثم تقدم نحوها: «أظنني كنت بغاية اللهفة لمقابلة الجميع».

بقيت عيناها مسمرتين على وجهه وهو يقترب منها شيئاً فشيئاً، لكنها تراجعت خطوة.

لا بأس، لعلها مفاجأة صاعقة...

ربتت يد على كتفها فالتفتت لتجد جون يقول معتذراً: «آسف».

كانت قد نسيت أن المصورين هنا. عادت إلى إيدن، ورفعت رأسها لتنظر من وفق كتفه فرأت ميك ينظر إليها من خلف العدسة ثم يغمزها.

وأشار داني إلى آلات التصوير، قائلاً لميك: «هذه تخص إيدن».

فالتفت إيدن إليه بحدة: «إنها ليست لي يا داني».

- أنت من أحضرها.

- لا، لقد جاءت معي وحسب.

وعبس، ثم وجد حلاً سريعاً فأشار إلى كيتلين: «أنظر. لقد أحضرت العمة كيتلين مثلها، هي أيضاً».

- هل كيتلين هنا؟

كانت هذه أمها تسأل من المطبخ خلف إيدن، فأجابت كيتلين: «نعم يا أمي. أنا هنا».

- تعالى وساعديني، رجاءً.

طرفت كيتلين بعينيها. لقد أمضت سنوات تتدرب على الطهي، إنما لم يحدث قط أن سألت أمها أن تساعدها. رأى إيدن ما ارتسم من مشاعر على وجهها فاقترب منها خطوة وقال بصوت منخفض: «لا بأس، اذهبي إليها. الأمور على ما يرام حتى الساعة فأنا لم أخطئ».

رفعت بصرها إليه، وابتسمت بضعف: «لم تعرف بعد إن كنت قد أخطأت».

ثم همست له: «ثق بي».

وأخذت نفساً عميقاً، ثم سوّت ثوبها ومرّت به، ثم بميك وجو.

أومأ إيدن لجو ولويز اللذين وضعا المعدات على الأرض، وخرجا.

- ليس من عادتك أن تطلبي مني المساعدة، يا أمي.

- حسناً، إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة كي أتحدث إليك، فعليّ إذن أن أطلب مساعدتك.

نظرت كيتلين إلى الروستو الرائع: «لقد جئت لتوّي».

قبلت أمها وجنتها ثم طوقتها بذراعها: «كنت أتحدث إلى صديقك إيدن».

فابتسمت كيتلين بضعف بينما تابعت أمها: «يبدو شاباً ظريفاً للغاية رغم أنه شكل مفاجأة لنا جميعاً».

ها هو الآن... الاختبار رقم واحد.

٧ - هذا عهد مني!

- لكن إذا كنت سعيدة، فنحن أيضاً سعداء.

تملكتها دهشة بالغة للغاية. ما الذي فعله حتى يكتسب مودة أمها بهذه السرعة؟ وشدّت أمها على كتفها مرة أخرى: «أنت سعيدة، أليس كذلك يا حبيبتي؟».

منحت أمها ابتسامة عريضة آملة أن تبدو مقنعة، ثم وضعت ذراعها حول خصرها وردّت: «أنا كذلك يا أمي، حقاً».

نظرت إليها أمها تتفحصها لحظة طويلة، بعينين تشبهان عينيها، ثم قالت ضاحكة: «هذا حسن. إنه رائع، أليس كذلك؟».

من يعلم؟

احمر وجهها وهي تجيب: «نعم... إنه كذلك».

بعدئذ، تركت ابنتها وعادت إلى أطباقها وهي تقول: «والآن، اذهبي وابقي بصحبته».

استدارت كيتلين خارجة من المطبخ. كانت أمها الشخص الوحيد الحذر في الأسرة، لكن إيدن كسبها إلى جانبه خلال ساعة. من المحيّر حقاً ما يمكن لحلق اللحية وقص الشعر أن يفعله.

في غرفة جلوس الأسرة، كان إيدن يضحك مع كونور، على ما يرويه باتريك الأخ الأصغر من حكايات كثيرة.

نظر إليها إيدن ثم مدّ يده إليها.

ترددت لحظة، ثم أمسكت بيده وتقدمت منه، لتجلس على ذراع

كرسيه. لكن يبدو أنّ رأي إيدن كان مخالفاً لرأيها، إذ جذبها من يدها وأجلسها في حضنه بسرعة جعلتها ترتطم به فالتفتت إليه قائلة: «آسفة».

ابتسم: «لا بأس! لم أكن انوي استعمال ساقي مرة أخرى».

فقال كونور: «نعم. إنها كتلة لحم ثقيلة الوزن. أليس كذلك؟».

حملقت في أخيها قائلة: «كم هذا مضحك».

فقال إيدن باسماً: «يحيّرني فعلاً أنّ وزنها لم يتجاوز مئة وخمسين كيلو غراماً رغم مهنتها».

فقال باتريك ضاحكاً: «هل أكلت طعاماً من طهيها؟».

فقالت: «هذا قول رجل يأكل مرتين أسبوعياً في أي مكان أعمل فيه».

هز باتريك كتفيه: «ماذا يمكنني أن أقول؟ صلة القربى تكسبني حساً جيداً».

ضحكت كيتلين ساخرة: «وعدم قدرتك على سلق بيضة لا تشجعك على الأكل في البيت».

لم تسمع كيتلين رده إذ كان ذهنها مشغولاً بالطريقة التي شبك بها إيدن أصابعه بأصابعها.

التفتت تنظر في عينيه فوجدت ابتسامته بطيئة حميمة محرقة بعثها. وعادت غمازتاه إلى الظهور.

تلوّت قليلاً في حضنه فاتسعت ابتسامته، وشدد من احتضانها. واحمرت وجنتاهما، لكن باتريك قاطعهما: «أنتما الاثنين، هناك في هذه الغرفة أطفال».

فقالت جين زوجة كونور وهي تهز طفلها العضو الأصغر في الأسرة: «دعهما يا باتريك، فهما عاشقان».

وغمز كونور بعينيه: «كيف تظن أنّ هؤلاء الأطفال جاؤوا إلى العالم، إذن؟».

- لست بحاجة لأن أعلم. شكراً.

www.elromancia.com

ابتسم كونور: «يوماً ما، ستضطر لأن تتعلم ذلك. لا يمكنك أن تدع إنجاب الأحفاد لي ولجين أو لهذين الاثنين».

وأشار نحو إيدن وكيتلين فابتسمت زوجته: «نعم، عليكما ألاّ تتأخرا في ذلك. ارفعا بعض الضغط عنا».

وكان بريندان، والد كيتلين، يجلس بهدوء في مقعده الكبير في الزاوية فمال إلى الأمام مقاطعاً هذا المزاح وسأل: «هل تريدان حقاً تأسيس أسرة؟».

تجنّبت كيتلين نظراته فنظرت إلى إيدن وهي تقول: «لكننا لم نتزوج بعد، يا أبي».

- لكنكما تحدثتما في الموضوع عبر الإنترنيت.

تلعثمت كيتلين فشدّ إيدن على يدها وهو يجيب: «نعم. لقد تحدثنا عن ذلك».

- ثم؟

فالتفت يواجه الأب كلياً: «نعم. نحن نريد أولاداً. الأسرة مهمة لنا نحن الإثنين».

- هل ولدت في أسرة كبيرة يا إيدن؟

انقبض قلبها لهذا السؤال: «أبي..».

فنظر إليها إيدن: «لا بأس، هذه ليست مشكلة».

نظرت إليه وهو يعود ليواجه أباها: «ليس لي أسرة... ووالداي لم يتزوجا قطّ. أنا لم أعرف أبي إلا منذ عام».

استمر بريندان في التحديق فيه: «هل تراهما؟».

- كلا يا سيدي. لقد ماتت أمي وأنا في الخامسة من عمري، وتوفي أبي منذ ستة أشهر.

فتحت كيتلين فمها لتتكلم، ثم نظرت من حولها إلى أسرتها، ومن ثم إلى ميك وجو، فماتت الكلمات على شفتيها. لم تستطع أن تعلّق على

هذه المعلومات الجديدة أمام الجميع لأنها مخطوبة لإيدن، ويفترض بها أن تعرف هذه المعلومات كلها!

وبدلاً من ذلك، شدت على أصابعه.

لم ينظر إليها بل وضع يده على ظهرها وكأنه يخبرها بأن لا بأس بذلك.

- إذن فقد تم تبنيك.

فابتسم: «كلا، كنت صبياً ذا مشاكل».

- من أية ناحية؟

هز كتفيه: «كنت سريع الغضب».

- أما زلت حاد الطبع؟

- لقد تغيّرت مع نضوجي وتقدّمي في السن.

ضاقت عينا الأب بغموض: «يسرني أن أسمع هذا. لن أكون سعيداً إذا تزوجت ابنتي رجلاً لا يستطيع ضبط أعصابه».

- ولا أنا، إذا تزوج رجل سيء الطباع ابنتي.

فأومأ الأب: «ستفهم معنى هذا عندما يصبح لك ابنة».

- أرجو أن أرزق بالكثيرات منهن. بنات بأعين كبيرة بنّية اللون.

ونظر إلى عيني كيتلين، فطرفت هي بعينيها الكبيرتين البنيتين. لقد أحسن التصرف. كثيرون كانوا ليصابو بالإحباط من استجوابات أبيها لكن ليس إيدن الذي أظهر صراحة تامة حين تحدّث عن أسرته. ولعله أقنع الجالسين في الغرفة بأنه لا يريد سوى عصابة من الفتيات الصغيرات اللواتي يشبهن كيتلين.

لكن المشكلة تكمن في أنها استطاعت وللحظة أن تتصورهن هي أيضاً. لكن الفتيات الصغيرات في ذهنها، كن بعيون هي الأشدّ زرقة وبغمازات على الخدين.

وقفت الأم تبتسم عند العتبة، وقالت: «العشاء جاهز. ألآن كارا؟».

www.eromantica.com

- الأمر يسير بشكل حسن، أليس كذلك؟

سحبت كيتلين يدها من يده ثم خرجت إلى الفناء وأخذت تنظر إلى الحديقة المعتمة. كانت هذه هي الفرصة الأولى التي تتاح لهما ليتحدثا وحدهما هذا المساء، فحتى ميك وجو بقيا في الداخل، يصوّران رد فعل أسرتها.

استدارت لتواجهه، ثم جلست على الجدار المنخفض الذي يفصل بين الفناء والمرجة الخضراء وقالت تجيبه: «حتى الساعة، نعم. لكن أبي وكارا بقيا يتهامسان فترة طويلة بعد العشاء».

- أختك لا تشعر نحوي بأي مودة.

- لا أظن أنّ شعورها نحوي أفضل.

- ما السبب؟

وسار إليها وجلس بقربها.

كان عليها أن تقاوم رغبتها في الابتعاد عنه لكن أفراد أسرتها يستطيعون أن يرونهما من خلال الباب الزجاجي الواسع. لن يبدو صواباً أنّ تقفز مبتعدة عنه ما إن يجلس بقربها. لكنها لم تتعود بعد على مظهر إيدن الجديد، الرجل الذي يبدو كرجل أحلام أيّ فتاة، الرجل الذي جعل قلبها يخفق كلما أمسك بيدها أو ابتسم لها مع هاتين الغمازتين اللعينتين.

لا، لن تسمح لنفسها بأن تفتتن به، فهذا سيجعلها تبدو سطحية، وهي تكره ذلك. إيدن ذو اللحية والشعر الطويل لم يتمكّن من أن يدير رأسها أو يؤثر فيها بل كان يزعجها باستمرار ويربكها ويدهشها.

يجب أن تدرك أن احتمال أن يبقيا صديقين بعد انتهاء العرض ضئيل وعليها أن تكون واقعية وتدرك أن هذا يعني أيضاً أنها منجذبة إليه.

على أيّ حال، هذه ليست شخصيته. بل من ضرورات العرض وعليها أن تتذكر ذلك.

- كيتلين؟

ابتلعت ريقها وحاولت أن تتجاهل فخذه الصلب الذي لامس فخذها: «آسفة، ماذا؟».

وكزها بمرفقه: «هل أنت بخير؟».

- ابتسمت بشيء من الخجل: «نعم. أنا بخير لكنني متعبة قليلاً».

- ما هي قضية كارا برأيك؟

تنهدت كيتلين: «لقد جرحتها».

- بسببي؟

فأومأت إيجاباً.

- كيف؟

قطبت جبينها وخفضت بصرها وهي تفكر كيف تشرح له الأمر. كان الفناء معتماً، وبالتالي بدا الحديث أسهل: «نتحدث دوماً، ولا أسرار بيننا على الإطلاق. اعتدنا أن نتحدث عن كل ما يحدث لنا مهما كان تافهاً».

فهم إيدن الأمر على الفور: «لكنني كنت سراً بالنسبة إليها؟».

تأمل رأسها المنحني، وأضاف: «ودخلت بينكما».

ابتسمت بحزن والتفتت إليه: «نعم، هذا ما حصل. وسماحي بأن يحصل هذا سيزيد الأمر سوءً وصعوبة حين أخبرها أن هذا كله مجرد كذبة».

مدّ يده يزيح شعرها عن عينيها، ثم نظر في عينيها وهو يقول برقة: «أتفهم مدى صعوبة هذا بالنسبة إليك، لا سيّما بعد أن رأيتك معهم».

حاولت جهدها كيلا تدع قلبها يخفق بسرعة.

- ما لديكم هنا نفيس للغاية.

اغرورقت عيناها بالدموع. فهو من دون الناس كلهم، يلاحظ ذلك، وتابع يقول: «العلي لا أفهم سبب تلهفك لأن يصبح لديك مطعم ما

يجعلك تتحملين كل هذا العناء. لكن إن كان الأمر بهذه الأهمية لك، فهم سيتفهمونك ويصفحون عنك».

سالت دمعة على خدها المحمر. أرادت أن تخبره بالحقيقة. ما كانت لتفعل هذا بأسرتها لو لم يكن الدافع أهم من المطعم الخاص بها، فهي لا تتصرّف أبداً بمثل هذه الأنانية.

ولكن عندما فتحت فمها لتخبره، كان يمد يده ليمسح دمعتها فسرت الحرارة من أصابعه في جسمها لتصل مباشرة إلى دمها.

لا يمكن أن تقع في غرامه.

وجاء صوته حميماً وهو يقول: «لا تبكي يا كيتلين رورك. سيصبح الأمر على ما يرام. هذا عهد مني».

رفعت أصابعها تبعد إصبعه عن خدها وهي تبتسم له: «لا تتعهد بما لا تستطيع الوفاء به، يا إيدن».

- عليك أن تثقي بي.

حاولت أن تترك أصابعه لكنه أمسك بيدها: «مازالوا يراقبوننا، كما تعلمين».

فأومأت: «أعلم ذلك».

- كما أنه لم يعد لدي لحية.

تلاقت أعينهما مرة أخرى: «فهمت. ما الذي..؟».

ابتسم لها عندما قرأ في عينيها أنها فهمته ثم اقترب منها: «أخبرتك أن هذا سيحدث في لحظة ما».

وقبل أن تستطيع التفكير في سبب يجعلها تتجنب هذا، عانقها.

٨ - مجرد زفاف

جمدت مكانها بعد أن بعثت حرارته موجة من الحرارة في جسدها.

بقيا كذلك فترة طويلة. بدا وكأن الزمن تباطأ وتوقف العالم عن الحركة بينما أصبحت الأصوات الآتية من البيت بعيدة بعيدة.

تأوهت كيتلين. بدا لها عالم الادعاء هذه مدهشاً، والضياع في الحب الزائف رائعاً، وذكرت نفسها بأن هذا غير حقيقي.

شعر إيدن بتأوهها ما هزّه من رأسه حتى أخمص قدميه. حدّث نفسه بأنه كان مستعداً لهذا وأن عناق كيتلين من أجل العمل أمر يمكنه مواجهته كأي رجل راشد.

لكن تأثرها البالغ منذ ثوان حرّك قلبه، وغيّر مشاعره بشكل مفاجئ وجعله يشعر بالانجذاب إليها.

هذا العناق كان دوماً من ضمن البرنامج. إنه ضمن قائمة الأمور التي ينبغي القيام بها ليصبح مقنعاً.

كان تأوهها أشبه بإشارة وكأنها تقول له: (لا تتركني يا إيدن).

وهكذا عاد يعانقها، وشعر بأنها تتجاوب معه فشبك يده بيدها بينما لامست الأخرى وجنتها. لكن هذا العناق جعل جسده ينتفض حيوية ويرتعش.

ابتعد عنها وانتظر حتى فتحت جفنيها أخيراً. نظرت إليه بعينين واسعتين منوّمتين مغناطيسياً، فلم يستطع أن يكفّ عن مبادلتها النظر.

وانفتح الباب الزجاجي وبرزت والدة كيتلين: «لقد تأخر الوقت، ولن

ندعك تقودين إلى «دبلين». لهذا أعددت غرفة كيتلين لكما».

التفتت كيتلين إلى أمها بحدة: «لا يمكننا أن ننام في غرفة واحدة!».

فبدت الدهشة على الأم: «ولماذا لا؟».

نظرت إلى إيدن فرأته يحدّق إليها ولم يفتح فمه ليساعدها فقالت لأمها: «كنت تعارضين أن أتقاسم الغرفة مع ليام كلما جاء إلى هنا، يا أمي».

إبتسمت الأم لإيدن وهي ترد على إبنتها: «كنت حينذاك أصغر سناً لكنك الآن قادرة على التصرّف بشكل حسن كما ربيّناك».

وابتسمت لإيدن مضيفة: «يحتاج الوالدان لوقت طويل قبل أن يقتنعا بأن أولادهما كبروا حقاً».

إستطاع إيدن أن يبتسم بينما أخذ ذهنه يبحث بذعر عن سبب كيلا يشارك كيتلين غرفتها. إيجاد السبب بدا صعباً، بينما أخذت رغباته اللعينة تصوّرها متكوّرة في السرير. وغص بريقه: «نحن حقاً لا نمانع في أن ننام في غرفتين منفصلتين، يا سيدة رورك. إنه بيتك على أيّ حال».

اتسعت ابتسامة المرأة لاحترامه مشاعرها، وقالت: «اسمي ماغي، أرجوك. ولا داعي للقلق، فكارا ستبقى هي أيضاً، وستأخذ غرفة الأولاد».

شعرت كيتلين بالغثيان. لا يمكنها أبداً أن تشارك إيدن الغرفة، لاسيمّا بعد ذاك العناق. لن تستطيع أن تنام لحظة!

- علينا أن نعود إلى «دبلين» يا أمي. الطريق ليست طويلة.

لكن إرادة الأم كانت قوية ككيتلين نفسها، فقالت: «هذا كلام فارغ، يا ابنتي، أنت باقية هنا ولا أريد أن أسمع كلمة واحدة بهذا الشأن».

ونظرت إليهما، بينما عادت تقول: «على أيّ حال، كان إيدن قد قال إنه سيلقي نظرة على المكان ليرى أين سيقام العرس. وهكذا سنعالج هذه

المسألة غداً بعد الفطور».

وعادت نحو الباب وهي تردف: «والآن، عودا إلى الداخل قبل أن يصيبكما برد».

- سنتبعك حالاً.

أرادت كيتلين أن تستعيد رباطة جأشها، وتبحث عن سبب لعدم البقاء.

- سأترك الباب مفتوحاً إذن، فلا تتأخرا.

- لا يمكننا أن ننام في غرفة واحدة.

كان إيدن يعلم أنها ليست فكرة سديدة لكن تصميم كيتلين على عدم حدوث هذا، جعله يقطّب: «لن نتخلص من هذه الورطة بسهولة».

بقيت تنظر من خلال الباب وهي تقول بصوت خافت: «سأقول لها إنني مضطرة لأن أعمل غداً».

- لكنك أخبرتهم أنّ لديك يومين إجازة.

- سأقول إذن إنني متوعكة.

- أليس من المحتمل، عندئذ، أن تصرّ عليك كي تبقي؟

فالتفتت تحملق فيه: «فكر، إذن، في سبب!».

- إنها مجرد ليلة واحدة، وأنا واثق من نفسي ومن أني لن أقفز إلى سريرك.

وكان تقطيبه قد استحال إلى تكشيرة، فقالت: «المشكلة ليست في أنك ستقفز إلى سريري».

- ما هي إذن؟

كيف تجعله يفهم؟ ثمة حميمية كبيرة في هذا، لا سيّما بعد ما حدث بينهما للتوّ، والمشاعر التي أثارها فيها.

لكن إن لم يكن شعوره مماثلاً لشعورها، أفلا يعني هذا أن الأمر ليس مهماً بالنسبة إليه؟

وأخيراً قالت باستسلام: «سيكون عليك أن تنام على الأرض، إذن».

- قلت إنك اعتدت أن تشاركي كارا الغرفة، وهذا يعني أن ثمة سريرين، أليس كذلك؟

- هذا صحيح. لكن، بعد أن غادرنا البيت، أعادت أمي تنظيم الغرفة بحيث أصبحت بسرير عريض واحد.

- بصفتي ضيفاً، ألا يعني هذا أن عليّ أن أحصل على السرير؟

- حسناً، نمّ حيث شئت إذن.

ووقفت ودخلت المنزل مغلقة الباب خلفها.

نظر أبوها إليها متسائلاً، فرسمت ابتسامة على فمها وألقت نظرة سريعة في أنحاء الغرفة، فوجدت مكاناً بين باتريك وجين ما لن يضطرها للجلوس بجانب إيدن.

حتى إنها لم تنظر نحوه حين فتح الباب وتبعها.

وقفت جين قائلة وهي تعطي طفلتها النائمة لزوجها: «حسناً، علينا أن نأخذ هذه لتنام».

فهبّت كيتلين واقفة: «هل عليك ذلك؟ مضى دهر لم أركم فيه».

إذا ذهبا فهذا يعني أنّ موعد الذهاب إلى النوم يقترب، وهذا ما لا تريده.

مالت جين عليها تقبل خدها: «حان وقت نوم الطفلين. سيتاح لنا الوقت للحديث عندما نأتي بحاجيات العرس».

فقال الأب وهو يقف: «ما زال الوقت مبكراً. لا داعي للعجلة في هذا الأمر».

- لقد حددنا الموعد في الواقع.

اتجهت الأعين إلى إيدن، وضاقت عينا الأخ: «حددتما الموعد، متى بالضبط؟».

- السبت الذي يسبق عيد الميلاد.

فقالت الأم ذاهلة: «هذا يعني ثلاثة أشهر. لا يمكننا أن نستعد للزفاف بهذه السرعة!».

ضحك باتريك: «تجعلين الأمر يبدو فظيعاً. إنه مجرد عرس. ثوب وكعكة... ماذا تحتاجون غير ذلك؟».

قطبت أمه وردّت: «ثمة أكثر من هذا بكثير. الضيوف، والأزهار والسيارات وقاعة الاحتفال. معظم هذه الأمكنة تحجز قبل الزفاف بسنة».

- نحن لا نريد عرساً فخماً، يا أمي.

- ولِمَ لا؟ سترغب الأسرة كلها في الحضور. كما أن أصدقاءك كثر.

هزت كيتلين رأسها: «لا. مجرد احتفال بسيط يكفي. لا أريد هرجاً ومرجاً».

بدت الأم وكأنها على وشك البكاء: «لكن هذا أهم يوم في حياتك! لطالما خططنا لعرسك أنت وأختك. إنها وظيفتنا».

وهي وظيفة لن يتمكنوا من القيام بها. ونظرت إلى أبيها وهي تتساءل عن مدى علم أمها بالحقيقة، لكن وجهه أبيها بدا خالياً من أيّ تعبير.

حدّقت إلى إيدن وقالت: «إذن، نحن ستتكفّل بالمصاريف، أليس كذلك يا حبيبي؟».

رفع حاجبيه قليلاً. حبيبي؟: «نعم. لا مشكلة من هذه الناحية».

نظر الأب في عينيه مباشرة: «كلا، نحن سنهتم بهذا الأمر».

- أبي، لا يمكنك أن...

- بل يمكنني، وسأفعل. لن تدفع ابنتي تكاليف عرسها.

- ولكن، يا أبي...

رفع يده: «لا أريد أن أسمع كلمة أخرى. هذا النقاش انتهى. لكنه لن يكون بعد ثلاثة أشهر بل في شهر حزيران من السنة القادمة».

فتح إيدن فمه ليتكلم، لكن كيتلين سبقته إلى ذلك: «كما تشاء يا

www.elromancia.com

أبي».

لمعت عينا الأب وهو ينظر إليها: «ولماذا السرعة بالضبط؟ هل ثمة ما تخفيانه؟».

أحمر وجهها وردّت: «كلا».

فأومأ: «فليكن حزيران إذن».

لكنها تابعت جدلها: «لا. لقد اتخذنا قرارنا».

حدّق إليها غاضباً فتقدم إيدن يقف بينهما وظهره إلى كيتلين ثم قال بحزم: «نريد أن نتزوج في أسرع وقت ممكن».

- لماذا؟

- لا نرى سبباً للانتظار فنحن نريد أن نكون معاً، والانتظار إلى حزيران لن يغير ذلك. نحن نعلم أن الحياة قصيرة للغاية.

ورفع رأسه قبل أن يردف: «أما بالنسبة إلى التكاليف فأنا سأغطيها كلها. أريد أمن أعطي كيتلين كل ما تريده».

أغمضت كيتلين عينيها باستياء بالغ فهو لم يجرح مشاعر أبيها بالنسبة إلى المال وحسب، بل أعلن بطريقة غير مباشرة أنّ رغبات كيتلين أهم عنده مما هي عند أبويها.

فقال الأب وهو يكبح غضبه، قبل أن يتوجه نحو الباب ويخرج من الغرفة: «ثمة الكثير مما عليك أن تعرفه عن هذه الأسرة، أيها الشاب».

بقي الموجودون واقفين بصمت وذهول. فتحت كيتلين عينيها ونظرت إليهم جميعاً، وعندما تكلمت أخيراً، كان صوتها يرتجف: «لم نشأ ان نكدّر أحداً. نريد فقط أن ننتهي من قضية الاحتفال. هذا كل ما في الأمر».

التفت إيدن إليها: «بعدئذ، نتابع حياتنا».

كان كلامه صحيحاً من نواح عدة. ورغم أنها رغبت في ان تخفف التوتر في الغرفة، بالاعتراف بالحقيقة كلها، إلا إن موقف أبيها بالنسبة

إلى دفع نفقات العرس، جعلها أكثر تصميماً على المضي في الأمر حتى النهاية.

- نعم. علينا أن نتزوج وحسب.

وسارت ووقفت بجانبه ومدت يدها تمسك بيده لتظهر اتحادهما. إنه لا يعرف ما سبّبه لتوّه من أذى، ولم يكن هذا ذنبه. فقد اختارت أن تنسج لنفسها هذه الشبكة من الأكاذيب. تقدمت أمها منها ووضعت يدها على كتفها: «لا تقلقي يا حبيبتي. أبوك مشغول الذهن حالياً».

وابتسمت لإيدن مضيفة: «إنه يتعرّض لبعض الضغط في العمل».

بعد هذه الكلمات القليلة، أدركت كيتلين أن أمها تعلم.

والتفتت الأم إلى ابنتها باسمة: «ستتحدث في هذا الأمر غداً، عندما يهدأ».

طوّقت كيتلين عنق أمها بذراعيها وضمتها إليها: «كل شيء سيكون على ما يرام، يا أمي».

- طبعاً، يا حبيبتي.

٩ - حديث من الماضي

شخر قليلاً وهو يتقلّب على الأرض فسألته كيتلين: «هل أنت بخير؟».

- نعم. أنا بأحسن حال.

شعرت بالذنب الشديد وهي تندس تحت الغطاء. من المستحيل أن يكون بأحسن حال فيما لم يكن معه سوى غطاء واحد يلتف به ليحميه من الأرض الخشبية.

- أتظن أن بإمكانك أن تنام؟

لا، إلا إذا ضربه شخص ما على رأسه. لكنه لا يستطيع أيضاً أن يجعلها تنام على الأرض.

- سأكون على ما يرام.

كانت تعلم أن هذا لن يحصل. هل تعتقد حقاً أن بإمكانها أن تنام مرتاحة وهي تعلم مدى عدم ارتياحه؟

- يمكنك أن تجرب الاستلقاء على السرير فوق الغطاء، أظن...

- نعم يمكنني ذلك.

وسرعان ما أصبح فوق غطاء السرير حتى قبل أن تكمل جملتها.

قطبت جبينها حين هزّ السرير بعنف ليتخذ الوضعية المناسبة له. وما هي إلاّ لحظات حتى تنهد راضياً وقال: «أنظري... الآن أينهي المشكلة؟».

استلقت جامدة في مكانها، وصرفت بأسنانها: «حسناً، لكن إياك أن

تحاول سرقة أغطيتي».

- لن أفعل.

واستلقيا بصمت فترة بدت لهما ساعات.

- هل تشعرين بالنعاس؟

- كلا.

فابتسم في الظلام: «هل تريدين أن نتحدث قليلاً؟».

- أريد أن أنام.

- لكنك لم تستطيعي؟

تنهدت وردّت: «هذا صحيح».

- لقد كدرّت أباك الليلة.

- لقد فعلنا ذلك نحن الإثنين.

وانقلبت على جنبها تواجهه: «إنه رجل عزيز النفس جداً».

- أراهن على أنّ المخرج سيرد له كل قرش يدفعه من أجل الزفاف.

- ربما. لا أرى سبباً يمنعهم من ذلك.

لكن شرح هذا لأبيها لم يكن وارداً أبداً.

- يمكننا أن نستفهم. وذلك قد يحل المشكلة.

فكرت مرة أخرى في أن تخبر إيدن الحقيقة لكن كرامة أبيها تضررت بما يكفي هذه الليلة. وإذا عرف أصحاب العرض سبب قيامها بهذا العمل، فلن يسامحها أبوها أبداً مهما كانت نواياها نبيلة.

- ليسو أثرياء يا إيدن، وزفاف كالذي يتحدثون عنه مكلف. أنا لن أستطيع أن أعيش مرتاحة إذا علمت أنهم استدانوا لإقامة هذا الزفاف.

- علينا إذن أن نقنعه بأي شكل كان أننا سندفع التكاليف.

فكّر في المشكلة لدقائق ثم قال: «ماذا لو تزوجنا وحدنا من دون علمهم؟».

- ستقتلني أمي لإهمالها وعدم إشراكها في الأمر.

- لكن العرض يدور حول كيفية تجنب هذا كله.

- نعم، هذا صحيح.

مال نحوها قليلاً وسألها: «وأنت. كيف تشعرين؟».

فأجابت بشبه ابتسامة: «أحسن الآن».

- أما زلت قلقة من ألاّ يصفحوا عنك؟

- نعم. كنت أعلم أن الكذب ليس سهلاً لكنني لم أتصور قط أن يكون بهذه الصعوبة.

- حسناً، تعلمين أن بإمكانك أن تتصلي بي حينما تشائين. لن أرحل إلى أي مكان.

أومأت وهي تحاول جهدها لترى وجهه في الظلمة: «أعرف هذا».

- سوف أعرض عليك عناق مودة وتعزية، لكني أخشى أن ينتهي بي الأمر على الأرض مرة أخرى. كانت فكرة العناق مغرية...

في العتمة، كان إيدن صديقها المؤقت الذي يمكنها أن تحدثه بسهولة وحرية. وثمة ميزة أخرى هي أنها لا تستطيع أن تراه كما يبدو الآن.

لكن عدم رؤيته لم تمنعها من أن تتصوره، وتتصور تينك العينين الأشدّ زرقة من اللون الأزرق نفسه وتينك الغمازتين الماكرتين.

وها هي الآن مستلقية إلى جانبه، قرب أول رجل تشعر نحوه بالانجذاب منذ ليام.

- بقدر ما أحتاج إلى عناق، أرى أنه من الأفضل ألاّ يحدث هذا.

- ما الذي حدث؟ ألا تثقين بنفسك؟

- نحن، حالياً، في حالة ضعف، وينبغي ألاّ أعتاد اللجوء إليك لكي تعانقني.

اعتصر قلبه فهي على حق في قولها هذا. لكنه يريدها أن تعتمد عليه، أن تلجأ إليه...

- هذا لا يعني أن العناق لا يفيد أحياناً.

فاجأته كلماتها هذه، فبقي صامتاً.

أرادت أن تسحب كلماتها حالما نطقت بها فهذه مجرد زلة لسان، إذ لم تشأ أن يشعر بأنها غير ممتنة لمناصرته لها. كانت مسرورة لأنّ شخصيته على هذا النحو، ولأن بإمكانهما أن يتبادلا هذا الحديث بعيداً عن آلات التصوير وأعين أفراد أسرتها المتطفلة.

لكن أن تدعوه لمعانقتها... هنا والآن، وبعد ذاك العناق؟ لا بد أنها فقدت عقلها. لقد التزم الصمت، ما يعني أنه لم يقبل العرض وأنها جعلت نفسها تبدو حمقاء للغاية.

أصبح بجانبها فيما طوّقتها ذراعه.

شعرت بحرارة جسمه، وبأنفاسه تداعب شعرها.

كان غطاء السرير يفصل بينهما لكن هذا لا يعني أنها لم تكن واعية لما أثاره في جسدها من مشاعر.

بقيا فترة مستلقيين بصمت، ثم سألها: «ماذا تظنيننا فعلنا عدا عن إثارة استياء أبيك؟».

- حسناً، لقد كسبت ودّ أمي.

ضحك بصوت خافت ثم قال: «ربما لأنني غازلتها قليلاً».

التفتت إليه: «لم تفعل ذلك!».

- حتى أن وجهها احمر مرة.

- كفى!

- هذا جميل، ولا بد أنك ورثته عنها فقد رأيت وجهك يحمر قليلاً الليلة.

واحمر وجهها مرة أخرى في الواقع، فقالت: «هذا مزعج للغاية».

هذا جزء من شخصيتك، وهو بالغ اللطف.

- وهل أنا لطيفة؟

- نعم، أنت كذلك.

وكان يعني ما قاله. فقالت: «كلمة لطيفة كلمة مطاطة. ولا أدري إن كنت أحب هذه الصفة. ثمة كلمات عديدة أخرى يمكنني أن أستعملها وأحبها أكثر».

- مثل ماذا؟

- حسناً، لقد أمضيت معي بعض الوقت. فلما لا تعطيني رأيك بي فأخبرك إن كنت على صواب؟

فكر قليلاً ثم بدأ بما هو واضح: «أنت طويلة».

- طولي مئة وسبعون ستتمتراً.

- طولك معتدل. وأنا أحب المرأة الطويلة.

- لهذا خطبت امرأة طويلة القامة.

شدّ ذراعه من حولها وقال: «لديك روح النكتة».

- وأنت أيضاً.

- نحن على الأقل نعرف إلى أين نحن متجهان.

لكنهما لم يكونا يعرفان فثمة كثير من الأسرار بينهما. وسألته: «لماذا لم تذكر لي أنك قابلت أباك؟».

فهز كتفيه: «لم يخطر هذا في بالي».

- هل جاء يبحث عنك؟

- لا، بل أنا من بحث عنه. أردت أن أعرف شكله، أن أعرف لما لم يحاول أن يبحث عني.

كانت لتفعل الشيء نفسه لو أنها مكانه.

- وكيف كان شكله؟

- عندما وجدته كان مريضاً، هذا محزن بعض الشيء. ليتني عرفته عندما كان أصغر وأقوى!

التفتت تنظر إليه. سألته: «لماذا لم يبحث عنك؟».

- عندما انفصل عن أمي لم يحدث هذا بشكل ودّي، فتصوّر أنني لو

أردت أن أعرفه لبحثت عنه يوماً ما. هذا منطقي، لكنني ما كنت لأفعل هذا لو أني مكانه.

- وماذا كنت لتفعل؟

- كنت سأذهب إلى آخر الدنيا للبحث عن ولدي وأبقى بجانبه لكي أساعده فيما لو أحتاج إلي.

اعتصر قلبها عطفاً على الصبي الذي كان متلهفاً إلى والديه، وأحست بكلماته الرقيقة مغلفة بالحزم. كان ليحطم الأبواب ليصل إلى ولده: ستكون أباً رائعاً يوماً ما، يا إيدن».

فرك يدها بإبهامه وهو يقول: «أرجو ذلك».

التفتت إليه مرة أخرى، شاعرة بأنه يقترب منها.

- أنا واثقة من ذلك فقد كنت رائعاً مع داني رغم أنه لا يألف الناس بهذه السرعة قط.

فرفع رأسه نحوها: «لعل السبب هو آلات التصوير التي ظن أنني أحضرتها معي. الأولاد يحبون هذه الأمور».

- كل ما عليك أن تفعله إذن هو أن تعمل مصوراً في التلفزيون، فلا تفشل أبداً.

سرّه أنها لا تستطيع أن ترى وجهه فيما تابعت تقول: «لكن الأمر تجاوز ذلك. بدوت مرتاحاً معه، ومنفتحاً. والأولاد يدركون ذلك. ستكون أباً رائعاً».

- عليّ إذن أن أبحث عن أم رائعة.

- لن تجدها فيما أنا خطيبتك.

وابتسمت، فقال: «كلا. ليس وأنا مخطوب لك».

ورفع يده عن يدها وأخذ يلامس وجنتها.

لا بد أنها متعبة جداً، فعليها أن تبعد وجهها عن ملامسته الحنون. عليها ألاّ تسمح بذلك وتعتبره أمراً طبيعياً.

- كدت أنسى وجود آلات التصوير الليلة.

- أفهم ما تعنيه.

في الواقع، هذا ثناء لفريق التصوير لقدرته على التخفي، فقد كاد ينسى نفسه خلال هذه الأمسية، لا سيّما عندما عانقها. عليه أن يكون أكثر انتباهاً لآلات التصوير من أي شخص آخر. وقال: «لكن ما من آلات تصوير الآن».

- هذا صحيح. هذا كله يبدو حقيقياً جداً أحياناً.

وبقيت تنظر إلى ظلال وجهه القريب جداً من وجهها، فقال: «نعم... يبدو حقيقياً تماماً».

- لكن أن نتورط مع بعضنا البعض ليس بالفكرة الجيدة، أليس كذلك؟

- لعل هذا صحيح.

فازدادت اقتراباً منه: «فعندما ينتهي هذا العمل، قد لا نرى بعضنا البعض مرة أخرى».

عندما ينتهي هذا العمل قد لا ترغب في رؤيته مرة أخرى.

- هذا أكثر من مجرد احتمال.

من دون كلمة أخرى، نسي الطريقة الصحيحة للابتعاد عنها، وتقدم ليعانقها مرة أخرى، مشجعاً إياها على أن تنسى لفترة بسيطة كل ما يحيط بهما.

وكان هذا الواقع الذي يحتاجانه.

١٠ ـ كفى تظاهراً!

نزلت كيتلين السلم فيما البيت لا يزال صامتاً، ثم دخلت المطبخ باسمة.

- حسناً، تبدين حالمة هذا الصباح...

قفزت كيتلين إذ فاجأها صوت كارا القادم من الفناء.

نظرت إلى الخارج فرأت أختها جالسة على الجدار المنخفض وفي يدها فنجان قهوة، وسيجارة في اليد الأخرى، فقالت مقطبة: «ظننتك تركت التدخين؟».

فابتسمت كارا وقالت هازئة: «أنت تعرفين أننا في أسرة رورك، لا نترك ونتخلى عن أحد».

توجّهت كيتلين نحوها شاردة الذهن: «هل ستبقين على كرهك لي طيلة الأشهر القليلة القادمة؟».

- لا أدري، وهل ستستمرين أنت في الكذب عليّ طيلة الأشهر القليلة القادمة؟

صدمها هذا السؤال: «أكذب؟ في أيّ موضوع بالضبط؟».

- بالنسبة إلى فتى الإنترنيت هذا. ثمة شيء ما لكنك لا تخبرينا عنه.

فقالت محتفظة بهدوء ملامحها: «مثل ماذا؟».

- لم أعرف بعد. لكن ثمة خطب ما شعرت به على الفور.

صمتت كيتلين بينما تابعت هي: «كيف حدث أننا لم نسمع عنه من قبل؟».

راحت كيتلين تفكر بسرعة: «لا ترغب الواحدة منا في أن تعترف بأنها عرفت الرجل المناسب عبر الإنترنيت».

- ربما في البداية. لكن عندما أصبح الأمر جاداً ووصل إلى حدّ الحديث عن الزواج، كان عليك أن تفكري في إطلاع الأسرة على الموضوع.

- ربما. ولكن لعله شغلني بحيث لم أعد أستطيع التفكير بشكل سويّ.

ولم تكن تكذب تماماً. فبعد أن أمضت الليلة في غرفة واحدة مع إيدن، أصبح من الصعب عليها أن تميّز بين الخطأ والصواب في ما تقوم به.

هزت كارا رأسها: «هذا لا يقنعني. أي شخص غارق في الحب يتصرف بشكل غريب فيضحك كالأبله ولا يستطيع أن يكتم حبه. في وقت ما كنت أنا أول من يعرف».

- أعرف أن هذا آلمك.

بقيت كارا تنظر أمامها وتدخن، فيما تقدمت كيتلين وجلست بجانبها. ولم تتحرك حين مدت أختها ذراعها وطوّقت كتفيها.

- آسفة لأنني لم أطلعك على هذا كله.

وبحثت عن كلمات مطمئنة لكنها لم تجدها فأضافت: «لكنني آسفة أيضاً لأنك لم تعرفي إيدن جيداً. إذا عرفته جيداً فستجدينه شخصاً غير عادي».

فقالت كارا بشبه ابتسامة: «أعترف بأنّ قص شعره وحلاقة ذقنه نفعاه. هذا كل ما بإمكاني أن أقوله».

فضحكت كيتلين: «أتظنينني لا أعلم ذلك؟».

- ما زلت لا أفهم، يا كيتلين. آسفة. لقد جاء من المجهول وستتزوجينه قبل عيد الميلاد. لِمَ العجلة؟ أنت تعلمين أن أباك لا

يملك المال الكافي لإقامة عرس الآن.

نظرت إليها كيتلين بدهشة: «أتعلمين هذا؟».

- أنا لست غبية. ثمة شيء غامض يدور هنا، وأمي لا تنفك تلمّح إلى أن أبي يعاني من مشاكل في عمله. وهكذا افترضت أن ثمة خطب مالي ما.

إذن ليست الوحيدة التي لاحظت هذا. هذه هي المرة الأولى التي تحدث فيها أزمة عائلية فلا يجتمع أفراد الأسرة كلهم للمشاركة في حلها. وتملكها الحزن وهي تراهم وصلوا إلى هذا الحد.

- يمكننا أن ندفع نفقات العرس، يا كارا. هذه ليست مشكلة.

- رجلك هذا لديه ما يكفي من المال إذن؟

كانت شبه واثقة من أنه لا يملك المال وإلاّ لما اشترك في العرض التلفزيوني!

- نعم، لديه المال. واسمه إيدن، ويستحسن أن تتذكري هذا.

- من المؤكد أن لديه الثقة الكافية والخبرة ليحصل على ما يريد حين يريد. في ثانية واحدة أصبحت أمنا رهن إشارته، كما أن أحداً لم يعترض على وجوده بيننا.

- لأنه لم يدهش أحداً بقدر ما ظننت أنه سيفعل.

- لكنه لا يشبه ليام، أليس كذلك؟

كان ليام وكارا مقربين من بعضهما البعض، وقد اعتادا أن يمضيا معاً من الوقت بقدر ما كان يفعل مع كيتلين تقريباً. وفجأة، أصبح امتعاض كارا من إيدن مفهوماً. فقالت لها: «لا بد أن أعرف شخصاً آخر في النهاية، يا كارا. لا بد أنك تدركين ذلك. أنا في الثامنة والعشرين من عمري وحسب، وما كان ليام ليرضى بأن أمضي حياتي وحيدة».

ارتجفت يد كارا قليلاً وردّت: «أعرف هذا لكنني ظننت أني سأكون مقرّبة من أي شخص تختارينه كما مع ليام. مازلت أفتقده».

وابتسمت بحزن فقالت كيتلين برقة: «وأنا أيضاً، ولن أشعر نحو أي رجل آخر بما شعرت به نحوه. لن يحدث هذا أبداً».

جلستا صامتتين للحظات ثم اعتصرت كيتلين كتف كارا مرة أخرى وقالت: «لكن هذا لا يعني أنني لا أريد أن أعيش مرة أخرى مشاعر بتلك القوة مع شخص آخر».

التفتت كارا إليها باسمة: «أعرف هذا، وأنت تستحقين ذلك حقاً. أنت أكثر روعة من أن تعيشي وحدك».

فقالت كيتلين ضاحكة: «نعم، ماذا يمكنني أن أقول؟ أعلم ذلك».

فضحكت كارا: «يا للغرور».

لكنها كانت تعلم أن كيتلين ليست مغرورة فعادت تقول بجد: «أرجوك كوني واثقة من إيدن هذا قبل أن تقدمي على أي شيء تندمين عليه اتفقنا؟».

فقالت كيتلين وهي تتجنب عيني أختها: «اتفقنا».

كانت هذه نصيحة جيدة يمكن أن تستفيد منها لو تلقتها قبل أن تتورط معه إلى حد يتجاوز ما يستدعيه عملهما في العرض.

- سأجتهد في التعرف إليه، شرط ألاّ تبعديني عنك بعد الآن.

ليتها تستطيع ذلك! لكنها قالت: «سأبذل قصارى جهدي».

تراجع إيدن بخطوات لا تُسمع. لم يشأ أن يسترق السمع، لكن عندما دخل المطبخ سمع كيتلين تتكلم مع كارا فلم يشأ مقاطعتهما.

آخر ما سمعه هو قول كارا إنها لن تشعر قط نحو أي رجل كما كانت تشعر نحو ليام.

وقد هزه هذا، آلمه. آلمه إلى حد لم يصدقه.

قطب جبينه وهو يقف عند العتبة. لماذا؟ لماذا يولي هذه الأهمية لشعورها هذا؟ هل لأنهما، وفي الوقت القصير الذي أمضياه معاً، نسيا أنهما يمثلان وسمحا لنفسيهما بأن يتعرفا إلى بعضهما بشكل

حقيقي؟ جلّ ما جرى بينهما هو عناقان قصيران لا يشكلان أساساً لأي شيء آخر.

كيف أمكن ذلك؟

يفترض به أن يخلط الأمور، أن يصعّب على كيتلين مهمة إقناع أسرتها بأنها خطيبته. هذه هي وظيفته، الطريقة التي تجعل مشاهدي العرض يشدّون إليه ويبدون اهتماماً باكتشاف كيفية تصرفها في هذا الأمر.

لكنه لم يفعل، فقد كان الصراع موجوداً سلفاً حتى بدون جهوده الشخصية. لطالما أحب أن يظهر بشخصيته الحقيقية في كل ما يمثل. لكن، على أيّ حال، إنه الآن مخرج وليس ممثلاً.

في الواقع، لقد خلب تضامن أفراد أسرة كيتلين وحبهم الواضح لبعضهم البعض لبه وجعل الاختلاط بهم سهلاً للغاية.

لكن عليه أن يفصل نفسه عن كيتلين رورك، وعن المشاعر العنيفة التي أظهرتها. فما من فائدة منها.

وحتى لو كان قادرا في النهاية على أن يكشف عن دوره في التمثيلية، ويجعلها تصفح عنه، فهي ما زالت تحب خطيبها الراحل.

ولم يجد أمامه سوى أن يعود إلى العمل. وهذا ما يفترض به أن يركز عليه منذ البداية.

استدار يعود إلى غرفة النوم ليغير ملابسه... يكفيه تظاهراً، وإقناعاً...

١١ ـ لم أعد قادراً

- لا نريد أن نقيم عرساً ضخماً.

أتى لها أن تقنع الكل بهذا؟

- أظن أنّ هذا سيكون حسناً.

قطبت وهي تنظر إلى إيدن: «أنت أيضا تريد ذلك؟ منذ متى؟».

فهز كتفيه: «أظن أنّ هذا سيسرّ معارفنا كلهم».

معارفنا؟ إلى أيّ مدى ستذهب هذه الكذبة؟ ألا يكفي ما تواجهه من صعوبة في الإدعاء أمام أسرتها؟

- أظنتا اتفقنا على عرس صغير وبسيط؟

- لم نقرر شيئاً بعد.

- حسناً، أنا أفضل زفافاً صغيراً وبسيطاً.

- كيتلين، سنجرح مشاعر الكثيرين بهذا.

وكانت أمها من الفريق المناصر لعرس فخم فتابعت: «والداك بالعمادة في أميركا، ولا تقولي إنك لا تريدين أن يحضرا عرسك».

أتراهما سيستدعيان أناساً من آخر العالم لحضور هذه التمثيلية؟ كانت تتصور عرسها صغيراً وبسيطاً، وهو أسهل ما يمكن أن تختاره لكي تنتهي من هذا الأمر بسرعة. كان عليها أن تدرك أن أسرتها الكبيرة ستأخذ مسألة العرس على محمل الجد. هذا ما خططوا له مع ليام.

نظرت بيأس إلى إيدن، وعندما حوّل عينيه عنها رفعت حاجبيها ثم نظرت إلى أمها: «أمي... لن يتسنى للناس الوقت لحضور العرس.

سنقيمه قبل عيد الميلاد بالضبط، ولعلهم خططوا لعطلة الأعياد سلفاً. أليس كذلك؟».

كان إيدن يشعر بالزهو وهو يراقب بصمت محاولتها الخروج من هذا المأزق. في الواقع، هو يكره أن يقيم عرساً ضخماً، لو كان هذا عرسه حقاً. وهو لا يحب أن يدعو مليون شخص لحضور العرس، بل سيختار أن يكون صغيراً بسيطاً. هذا هو خياره بكل تأكيد. يكفيه أن يكون هو وكيتلين وحدهما على الشاطئ في مكان ما.

قطب حين أدرك أنه يفكر في عرس حقيقي. لا، على هذا أن يتوقف. وقال: «مازال أمامهم الوقت الكافي ليغيروا رأيهم. أقل ما يمكنك فعله هو أن تمنحيهم الخيار. أما حضورهم أو عدمه فهذا عائد لهم».

بدا الشك على ملامح كيتلين. ما الذي يفعله؟ وقطبت حين وجّه ميك آلة التصوير نحوها: «هل لديك فكرة عن عدد الأشخاص الذين نتحدث عنهم هنا؟ دعني أخبرك يا إيدن أنهم سيحضرون حين يسمعون أنني سأتزوج».

- دعيهم يأتون إذن.

أرادت أن تقتله. سيكون الأمر أشبه بسيرك. وفكرة وقوفها أمام كل هؤلاء الأشخاص لتخبرهم أن هذا مجرد لعبة...

نظر إليها إيدن ولاحظ شحوب وجهها، فتملكه شعور بالذنب. لكن لا بد أنها فكرت في هذا عندما قبلت بالمشاركة في هذا العرض. كيف لم تفكر في رأيّ والديها؟ فهما ليسا من نوع الناس الذي يقبل بتزويج ابنته في مكتب زواج. كما أن العرض يجب أن يكون كاملاً، من ثوب زفاف أبيض وغيره ليبدو مقنعاً. وقد أورد هذا في عقد العمل الذي وقعت عليه.

- أظن أنّ هذا المكان مناسب تماماً لحفل الاستقبال يا ماغي.

وجه إيدن هذا الكلام إلى أمها فنظرت إليه بوجه مشرق: «أنا مسرورة لأنه أعجبك، يا إيدن. فكلنا نحب «فندق الريف» هذا. اعتاد براندون أن

يلعب الغولف هنا، حتى أشهر قليلة...».

ومالت نحوه لتقول هامسة: «لكن العضوية مكلفة».

- مكان كهذا لا يمكن أن يكون غير مكلف.

نظر إيدن إلى كيتلين، فحملقت فيه: «ما من مشكلة، فنحن من سيدفع. هل نسيت؟».

إذا بقي أبوها مصراً على أن يدفع نفقات العرس، فستفلسه نفقات إقامة الحفل في هذا المكان، عدا عن ثمن ثوب الزفاف والأزهار.

- ربما عليك أن تحل هذه المشكلة مع أبي قبل أن تكبر.

- حسن.

- أنا أعني ما أقول، يا إيدن.

نظر في عينيها: «لا بأس. سأحل المشكلة».

ولاحظ الاهتمام على وجه ماغي الأم، والشك في عيني كارا، فتقدم وطبع قبلة على خد كيتلين: «أنت تعلمين أنك ستكونين أسعد حالاً بوجود الكل هنا يا حبيبتي. إنه أسعد يوم في حياتك، ولا حاجة لأن تفسده الخلافات الأسرية».

طرفت كيتلين بعينيها وهي تنظر إليه. إنه يلعب دوره، وهي تعلم هذا، لكن تصرفه هذا جعل الأمر أكثر تعقيداً. فهو لم يقف بجانبها لكي يبقي الأمر سهلاً، وكرهته لهذا. لكن يمكنها أن تمثل هي أيضاً: «أنا لا أحتاج إلى سوانا، أنا وأنت، لكي يكون هذا اليوم أسعد أيام حياتي. يكفيني وجود أمي وكارا. لكن إذا كنت تظن أن هذا أفضل، فعليك أن تتحدث إلى أبي، وحالاً».

قبل أن يصبح الكابوس أسوأ.

- حسناً، لقد حلّت المشكلة.

والتفت إلى ماغي قائلاً: «إذن، هل نذهب ونرى إن كان المكان محجوزاً في ذلك التاريخ؟».

وحجزوا «فندق الريف» لإقامة حفلة الزفاف. بدت أمها أشبه بطفل أمام طبق من الحلوى، فهي لا تنفك تتحدّث عن الدعوات وقوائم المدعوين.

- كارا، ستأخذين فرصة من عملك لتذهبي مع كيتلين لشراء الملابس، أليس كذلك؟

ولم يكن هذا التماساً بل أمراً غير مباشر.

- أنا واثقة من أن أختي لا تحتاج لمساعدتي كي تشتري ثوبها.

- لكنها واجباتك بما أنك وصيفة العروس، أليس كذلك يا كيتلين؟

سارت كارا إلى المطبخ ومنه إلى الفناء حيث أشعلت سيكارة، وهي تقول: «لم يطلب مني أحد أن أكون وصيفة العروس».

التفتت ماغي إلى كيتلين: «ستختارين كارا من دون شك وصيفة لك. كارا وربما ايزابيل...».

قطّبت كيتلين لذكر أعز صديقاتها التي تجنّبت الرد على اتصالاتها في الأيام الأخيرة. كانت تقوي عزيمتها لكي تطلعها على أخبارها السارّة فإيزي هي الصديقة التي كانت كيتلين تمضي معها معظم وقتها في غياب كارا، وستجد صعوبة في أن تفسّر لها أمر خطبتها.

لو كانت الأحوال طبيعية، لما طلبت من غيرهما الوقوف إلى جانبها.

- كنت سأطلب ذلك من كارا طبعاً.

فقالت كارا: «لن أرتدي أي ثوب مزيّن وإيزي أيضاً».

وكانت زينة الثوب آخر ما يهم كيتلين، فقالت: «فليكن».

كان الحؤول دون اجتماع كارا وإيزي للحديث عن علاقتها بإيدن قد أوشك أن يصبح كابوساً.

سارت ماغي لتملأ إبريق الشاي بالماء، وهي تقول: «يمكنكما ان تبحثا عن الثوبين الأسبوع القادم، بينما أتصل ببعض المطابع من أجل بطاقات الدعوة».

- هذا عظيم.

- إذا كتبت قائمة بأسماء أصدقائك الذين تريدين أن تدعيهم، فسأكتب أنا قائمة بالأقارب.

- جيد جداً.

- قد يصل عدد المدعوين إلى مئة، مع أصدقاء إيدن ضمناً.

فاتسعت عينا كيتلين: «كم؟».

- مئة على الأقل. عائلتنا وحدها حوالى سبعين فرداً، أظننا سنصل إلى مئة وخمسين مدعواً.

شعرت كيتلين بالغثيان: «مئة وخمسون؟ لا بد أنك تمزحين، يا أمي!».

ستقف أمام مئة وخمسين مدعواً لتعترف بمثل هذه الكذبة الكبيرة هي التي لم تستطع يوماً أن تقف في المدرسة لتلقي كلمة أمام الحضور! عليها أن تجد طريقة لتتخلص من هذا.. وبسرعة.

- هل تعرفت إلى الكثيرين من أصدقاء إيدن؟

احمر وجه كيتلين وحوّلت عينيها عن التساؤل البادي على وجه كارا: «كنا مشغولين ببعضنا البعض».

صفقت ماغي بيديها بابتسامة عريضة: «علينا أن نقيم حفلة خطبة إذن».

- لسنا بحاجة إلى حفلة خطبة!

- لكنها ستكون فرصة رائعة ليتعارف أصدقاؤكما.

- لا نريد المزيد من النفقات يا أمي. هذا يكفي.

- يمكننا إقامتها هنا. لن تكلف كثيراً.

فقالت كيتلين مقطبة: «لا أريد حفل خطبة، يا أمي».

- سيظن الكل أنك تخجلين من خطوبتك.

التفتت كيتلين إلى كارا التي قالت هذا، فأردفت هذه: «أنت لا تريدين

أن يظن الكل أن لديكما ما تخفيانه، أليس كذلك؟».

لا... هذا آخر ما تريد كيتلين أن يظنه الكل. وعاودها الشعور بالغثيان.

- ليس لدي ما أخفيه.

- سنقيم إذن حفلة هنا. في نهاية الأسبوع القادم، كما أظن. أنا واثقة من أنهم سيمنحونك إجازة من العمل. يفترض أن نقيمها سريعاً، ما دام موعد العرس قريباً.

- هذا حسن.

نادت كارا من الخارج: «سأتصل بإيزي، إذا شئت».

- لا بأس. سأتصل بها أنا. من الأفضل أن أذهب إذا كان عليّ أن أتصل بالكل الليلة.

كيف يمكنهم أن يجمعوا كافة معارفهم في مكان واحد؟ عليها أن تتحدث إلى إيدن وبسرعة!

قالت أمها وهي تتقدم منها وتقبلها بحنان: «لا تقلقي يا حبيبتي. ستنتهي من هذه الأمور كلها بسرعة، ثم تتزوجان أنت وإيدن».

فقالت كيتلين بابتسامة واهنة: «نعم، يا أمي».

- إنا مسرورة جداً لك، منذ وقت طويل وأنا أتمنى لك شخصاً مثله.

فقالت وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «أعرف هذا».

- وأنا واثقة من أن ليام يبتسم لك الآن، مدركاً مقدار سعادتك مع إيدن.

بعد عناق سريع تملصت كيتلين من ذراعي أمها ثم توجهت إلى الردهة قبل أن تنهمر دموعها. لم تعد تستطيع الاستمرار بهذا الدور.

١٢ - مجنون بك

قطّب إيدن وهو يدخل مكتبه في المبنى الرئيسي في وسط المدينة. وجد إيسلنغ برفقة نصف فريقه: «ما هو الأمر الطارئ؟».

وكانت إيسلنغ قد استدعته لحظة وصوله على المدينة.

- لدينا مشكلة.

- ما هو نوع المشكلة؟

- اتصلت بي كيتلين منذ نصف ساعة.

- لكنني تركتها منذ ساعة.

- نعم هذا ما قالته.

- ما المسألة إذن؟

وسار بحركة آلية إلى مقعده خلف المكتب.

- تريد الانسحاب من هذا العمل.

فوجئ بقولها هذا: «ماذا؟ لماذا؟».

- لم تعد تستطيع احتمال الضغوط. تنظيم حفل الزفاف، ثم هذه الحفلة التي تريد أمها أن تقيمها، كل هذا أتعبها. كانت مستاءة للغاية.

- حفلة؟

- فكرت أمها بأن تحتفل بخطوبتها في نهاية الأسبوع القادم لتتيح الفرصة لأصدقائكما كي يتعارفوا.

عبس إيدن. نصف أصدقائه لا يعلمون أنه يقوم بإخراج عرض تلفزيوني، لكنهم يعرفون طبيعة عمله. عليه أن يحذرهم جميعاً.

وشتم بصوت خافت.

قال مساعده الجديد: «يمكننا أن نستخدم بعض الممثلين ليلعبوا دور أصدقائك، يا إيدن».

- نعم، لكن ما من أحد منهم سيتمكن من أن يقنع الآخرين بصداقته لي. عليّ فقط أن أحسن اختيار من أدعوه.

فتدخلت إيسلنغ: «قلق كيتلين لا يتعلق بأصدقائك».

فأومأ: «إذا كانت علاقتها مع أصدقائها حميمة بقدر ما هي حميمة مع أسرتها فستكون المسألة صعبة أول مرة».

- عليك أن تساعدها للخروج من المأزق.

عبس إيدن وهو ينظر في أنحاء الغرفة، مفكراً في أنه أحاط نفسه بفريق من المبدعين الذين لا يخشون بذل قصارى جهدهم في أي من العروض التي يقدمونها. «فريق أحلام فلين» كما دعاه... ثمانون في المئة من عروضهم كانت تصنّف ضمن العروض العشرة الأوائل، وتبث في محطات التلفزة الأميركية.

لطالما عملوا معاً بشكل جيد، ولطالما تبادلوا الآراء. لا يستطيع أن يعلمهم أنه تورط عاطفياً مع هذه المرأة. لكنه يستطيع أن يخبرهم بما كان يفكر فيه في طريق عودته إلى بيته مع جون ولو.

- أظننا بحاجة إلى إعادة التفكير في المنحى الذي يتخذه هذا العرض.

- أي منحى؟

وجذبت إيسلنغ كرسياً جلست عليه، بينما جلس الآخرون مستعدين للنقاش.

- كنا قد قررنا أن نضع كيتلين في مواجهة أسرتها وذلك لإضفاء المزيد من الأهمية عليه.

فأومأت إيسلنغ: «ليتك تزيد الخلاف والصراع، لكنك تباطأت».

www.elromancia.com

تجاهلها متابعاً: «أعرف هذا، لكنني في الواقع، تعرفت إلى أسرتها للتوّ. وقد طرحت اليوم فكرة العرس وحفل الزفاف».

- وماذا كانت نتيجة ذلك؟

- حسناً، لقد نجحت ما دامت اتصلت معلنة انسحابها من الموضوع.

- لكنك لم تكن مسروراً لهذا.

فقال صوت في الغرفة: «لا يمكننا أن نخسرها الآن فقد أنفقنا الكثير».

فأجاب: «بالضبط، ولهذا علينا أن نعيد النظر».

- يمكننا أن نجعلها تقع في غرامك فهذا يجعل الأمر ممتعاً.

تجاهل إيدن هذا الكلام وقال: «ثمة صراع أكثر من اللازم مع أسرتها، ولا أريد أن أزيد الأمور سوءاً».

- ربما عليك أن تقف في صف كيتلين أكثر؟

- هذا يسهّل الأمر بالنسبة إليها.

- وبهذا تظن أن إقناع أسرتها سيصبح أسهل إذا لعبت دور الحبيب العاشق بشكل أصدق؟

لم يكن إيدن مقتنعاً تماماً بقدرته على القيام بذلك من دون أن يتورط أكثر شخصياً. إذا لعب دور الرفيق العاشق والصديق يمكنه بكل تأكيد أن يساعد كيتلين أكثر، لكنه سيغامر وقد يقع في حبها. مغامرة كبرى بالنسبة إلى عرض تليفزيوني.

رأت إيسلنغ المشاعر التي ارتسمت على ملامحه: «أتظن أنّ هذا هو الطريق الصحيح؟».

- أظنها ستنسحب من العمل إذا لم أفعل ذلك.

التوى قلبه فهو لا يستطيع أن يفعل هذا بها.

- لن تنسحب من العمل إذا وقفت أنا بصفها.

عادت إيسلنغ تتأمل وجهه مرة أخرى: «هل أنت واثق إلى هذا الحد

من أن بإمكانك أن تقنعها؟ حتى بعد أيام قليلة فقط؟ بدت مستاءة للغاية على الهاتف».

- أنا واثق من ذلك.

وشعر بالحقارة لعلمه أن هذا يعني مزيداً من الخداع لها.

- حسناً، أنت على حق بالنسبة إلى النزاع العائلي الذي حدث. فهذا يجذب المزيد من المشاهدين. علينا فقط أن نعيد تصوير بعض المشاهد لنبقى في الطريق الصحيح.

فأومأ إيدن: «لا بأس، اتفقنا إذن. سأذهب لأرى كيتلين».

ووقف معلناً انتهاء الاجتماع.

ضغطت إيسلنغ على ذراعه وهو يطلب المصعد: «هل أنت بخير؟».

فابتسم: «بأحسن حال».

وعادت تتأمله: «لقد عملت معك طويلاً يا إيدن فلا تحاول أن تكذب عليّ. أنت لست ماهراً في ذلك».

فانفجر ضاحكاً بسخرية: «أظنك سترين أنني كذلك».

- لقد فعلت. ولهذا أسألك عما إذا كنت على ما يرام. لقد عملت معك خمس سنوات لكني عرفت عنك في الأيام الثلاثة الماضية أكثرمما عرفت من قبل. أصبحت منفتحاً معها.

نظر بعيداً عن عينيها المتفحصتين: «أظنها أظهرت هذه الناحية من شخصيتي».

- هل تشعر نحوها بمودة؟

- نعم.

تركت إيسلنغ كتفه: «لقد مررت بسنة صعبة، يا إيدن، وأنا قلقة عليك. لا أظنك انتهيت من مسألة أبيك. أنت حالياً ضعيف. ولعل تطوّعك لهذا العرض لم يكن فكرة جيدة».

لكنه ما كان ليتعرف إلى كيتلين لولا هذا العرض. لعله يجازف عاطفياً

أكثر مما ظنّ أنه سيفعل لكنه لا يعتقد أنه يضحي بوقته معها.

- لعل الحديث مع شخص غريب هو ما أحتاج إليه حالياً.

- لكنها لا تعرفك، ولا تعرف نوعية عملك. أتظنها ستفهم في النهاية عندما ينكشف الأمر؟

- أشك في ذلك.

مدت يدها وشدت على ذراعه فيما انفتح باب المصعد.

- انتبه إذن أيها الرئيس. إنه مجرد عرض تلفزيوني.

ابتسم ودخل المصعد. مجرد عرض تلفزيوني، نعم، إنه عمله فقط. مهنته التي جاهد من أجلها معظم حياته. لكن هذه الأشياء كلها ليس لها معنى إزاء ألم كيتلين رورك.

ثمة أمر صغير وحيد منعه من أن يتخلى عن العرض ويتركها ترحل، وهو أنها مصممة على أن تحقق حلمها.

لكن هذا العرض ليس مشروعاً واحداً فقط. فإذا ما حقق نجاحاً سيشكّل هذا مدخلاً لإنتاج عمل يمثل، بالنسبة إليه، ما هو أكبر بكثير.

لقد أمضى أشهر في جمع العمل الذي عاش أبوه حياته وهو يعمل عليه. وهذا تقدير لذكرى رجل لم يكد يعرفه. بهذا العمل سيعرف العالم من هو دونالد كما يمكنه أن يعرف التاريخ الغريب لجزء صغير من العالم كان يعشقه.

كان هذا هو الإرث الوحيد الذي تركه له الرجل الذي دفعه الانشغال بعمله إلى حد التضحية بحبه وأسرته.

لكن السؤال هو هل إيدن مأخوذ أيضاً بعمله بما يكفي ليكمل ويضحي بقلبه من أجله؟

قالت كيتلين بحزم: «لا يمكنني أن أفعل. هذا هو قراري، يا إيدن».

- لا يمكننا أن ننسحب. ثمة شرط جزائي في العقد يقول إن علينا أن ندفع مبلغاً إذا تركنا العمل بعد البدء بالتصوير.

شحب وجهها، وسألته: «كم المبلغ؟».

- بقدر الأجر الذي سيدفعونه لنا بعد انتهاء الفيلم.

اتسعت عيناها وتهدج صوتها: «لا يمكنني أن أدفع مثل هذا المبلغ».

- ولا أنا. لهذا نحن ملزمان بهذا.

ما الذي فعلته؟ لقد وافقت على هذا العمل لكي تساعد أباها، وها هي الآن تتخبط لا تدري ما تفعله. فهل تترك هذا العمل فتضطر لأن تدفع مبلغاً يعادل ما يحتاجه أبوها؟ وإذا انسحبت من العمل فستوقع إيدن في ورطة.

تأوهت وهي تغطي وجهها بيديها: «ماذا فعلت يا إلهي؟».

نظر إيدن إليها من الجانب الآخر للغرفة، فشعر بقلبه يتمزق لعذابها. لو لم يكن هو أيضاً متورطاً لأخبرها الحقيقة، وتركها تذهب.

سار إليه وجلس على الأريكة بجانبها، ثم أحاط كتفيها بذراعه وضمّها إليه بشدة قائلاً: «يمكننا أن ننجح إذا ما عملنا معاً. فكري فقط في مطعمك في نهاية المطاف. ألا يستحق تحقيق حلمك هذه التضحيات كلها؟».

ارتجفت كتفاها تحت ذراعه، وتناهت إليه شهقة خافتة، فرفع ذقنها بأصابعه ودهش لرؤية دموعها تتدفق على خديها: «كيتلين؟ ما هذا».

- آه، يا إيدن.

وابتسمت له من خلال دموعها مضيفة: «المطعم لا يهمني أبداً. فهذا ليس سبب موافقتي على هذا العمل».

قطب جبينه بحيرة، ورفع عينيه إلى آلة التصوير المثبتة في جدار غرفة جلوسها قبل أن يعود وينظر في عينيها المتألمتين: «لا أفهم».

- أعلم أنك لا تفهم ذلك.

ورفعت يدها تشبك أصابعها بأصابعه مرددة: «وأنا آسفة لأنني لم أخبرك من قبل. كنت لأفعل هذا لو أن الأمر يتعلّق بي وحدي لكنه

ليس كذلك».

- إذا كنت لا تريدين المال من أجل المطعم، فلماذا تريدينه إذن؟

هزت رأسها وعادت تشهق باكية: «لا يمكنني أن أخبرك».

ازاداد تقطيبه، ثم فكر لحظة: «لا يمكنك أن تخبريني أم أنك لا تريدين أن تتكلمي أمام آلة التصوير؟».

غصت بريقها ثم همست: «السبب الثاني».

- إذن، ليس السبب أنك لا تثقين بي.

- لا.

وعادت تشدّ على أصابعه: «أظنك أصبحت تعلم هذا الآن».

جذبها إليه يضمها إلى صدره: «والآن، أخبريني. هل ستتفهم أسرتك لماذا فعلت هذا، عندما تخبرينهم في النهاية؟».

- في النهاية، عندما يعرفون السبب سيفهمون لما شاركت في هذا العمل لكنني لست واثقة من أنهم سيصفحون عني بسهولة.

بقي صامتاً عندما أدارت وجهها وهمست بصوت مرتجف: «أحدثت فوضى بالغة».

وعادت تشهق باكية، إنما بشكل أخف، ففعل إيدن ما يخالف طبيعة عمله كمخرج لهذا العرض إذ أبعدها عنه ثم رفعها قائلاً: «تعالي معي».

طرفت بعينيها وهو يوقفها على قدميها: «إلى أين نحن ذاهبان؟».

- إلى مكان يمكننا أن نتحدث فيه.

وغادر الغرفة وهو يجرها خلفه، ثم صعد السلم.

نظر إلى آلات التصوير وهو يتجاوزها. كان يعرف مكان كل واحدة منها، حتى أنه ساعد في اختيار المكان المناسب لكل منها لتبقى بعيدة عن العين قدر الإمكان. لكنه منع وضع أيّ آلة تصوير في الحمام أو غرفة النوم.

جرها إلى غرفة النوم وأغلق الباب خلفهما قبل أن يجلسها على حافة

سريرها. بعدئذ، وضع إصبعها على فمها وهمس: «ما من آلات تصوير هنا، ولكن أن تسجّل أصواتنا إذا ما تحدّثنا بشكل طبيعي».

عبست ثم أزاحت إصبعها عن فمها لتهمس: «كيف عرفت هذا؟».

- يبدو أنني طرحت من الأسئلة أكثر مما فعلت أنت.

فكرت قليلاً، ثم اكتفت بجوابه.

- إذن لماذا تقومين بهذا العمل إذا لم يكن من أجل الحصول على المطعم الذي تحلمين به؟

عادت الدموع إلى عينيها: «أنا أفعل هذا من أجل أبي».

قطب إيدن بحيرة: «أتريدين المال من أجل أبيك؟».

أومأت كيتلين فيما راح هو يفكر في الأحاديث التي دارت في الساعات الأربع وعشرين الأخيرة.

وتذكر الحديث عن أن والديها لا يستطيعان الإنفاق على عرس فخم، وأن أباها يريد أن يؤجله إلى شهر حزيران لكي يحصل على الوقت اللازم ليدخر المال لنفقات العرس. وتذكرت حديث أمها التي قالت إن زوجها لم يعد يلعب الغولف في «فندق الريف» وإن ذهن مشغول دوماً بالصعوبات التي يواجهها في عمله.

وفجأة، تجلّت له الأمور: «لديه مشاكل في عمله، أليس كذلك؟»

كبحت شهقتها وقالت: «نعم. كيف عرفت؟»

هز كتفيه: «مجرد استنتاج من الأحاديث التي دارت عن نفقات العرس، وعن انشغال ذهنه الدائم بأمور العمل».

ارتسمت ابتسامة على فمها: «أنت ماهر جداً، احياناً».

فأجابها بابتسامة: «أحياناً..».

- لا أريد أن يعرف العالم شيئاً عن مشاكله فهذا سيقتله لأنه عزيز النفس.

وخطرت له فكرة أخرى فأغمض عينيه: «تباً لي ولكل ما أخذت

أتحدث عنه وعن استعدادي لدفع كافة النفقات».

شبكت أصابعها بأصابعه وقد تذكرت فجأة أن يدها مازالت في يده: «ما كنت تعلم».

- لقد أصاب كلامي ذاك كله موضعاً حساساً، وهذا ما جعله يغضب مني.

- منا جميعاً.

وغصت بريقها وأخفضت بصرها: «ولعله غضب مني أكثر لأنه يعلم أنني أعرف لكنني بقيت أطالب بعرس مبكر. كان هذا أسوأ مما فعلته أنت».

رفع وجهها مرة أخرى وأرغمها على أن تنظر في عينيه: «ليتك أخبرتني قبل الآن! ظننتك تقومين بهذا العمل من أجل مطعم لعين».

طرفت بعينيها ونظرت إليه: «ما من شيء لعين في أن يكون لي مطعم لكنه لا يستحق أن أشارك في عرض كهذا. لا يمكنني أن أفعل ما يؤلم أسرتي من أجل ربح خاص».

هذا ما شكّل له أكبر مشكلة إذ تناقض مع صورة كيتلين رورك الكبيرة في نظره فالمرأة التي أصبح يعرفها الآن لا يمكن أن تقدم على عمل أناني كهذا. وقد عرف هذا في كيتلين بالغريزة تقريباً، وآلمه أن يكون هذا هو دافعها. وها هو قد عرف الحقيقة الآن، فشعر وكأن كيتلين منحته أعظم هدية إذ أصبح يؤمن بها كما لم يؤمن بامرأة من قبل.

- أنت محيرة.

التفتت إليه متسائلة: «أنا؟».

- نعم، أنت.

وخلّص يده من يدها وأحاط وجهها بيديه: «أنت أبعد من عرفت عن الأنانية وإيثار النفس. أنت مستعدة لأن تعاني وتتعذبي لتساعدي أباك في محنته، لتصلحي أموره حتى لو لم يعجبه هذا منك ولم يسامحك. وهذا

أمر محيّر فيك».

ارتجفت شفتها السفلى وهي ترى العينين البالغتي الزرقة تلتمعان أمام عينيها: «لكنني لم أستطع القيام بذلك، يا إيدن. لقد فشلت».

- لا، لم تفشلي.

ومال إليها مضيفاً: «لأننا سنقوم بهذا العمل معاً وسنجعله ينجح. أتعرفين لماذا سنجعله ينجح؟».

هزت رأسها نفياً وقد سمرّها قرب وجهه من وجهها: «لأننا لن نجد صعوبة في ان نقنع الكل بأنني مجنون بك».

وصمت لحظة ثم ضمها إليه قبل أن يردف: «أرأيت؟ لقد أصبحت فعلاً مجنوناً بك».

١٣ - سيف ذو حدّين

لم تكن الحفلة سيئة بقدر ما توقعت، ولعل السبب في ذلك يعود لوجود إيدن بقربها طوال المساء، ممسكاً بيدها، معتصراً أصابعها، مبتسماً لها. لم يكونا بحاجة حتى إلى الكلام.

بدا هذا محيراً، إذ قطعا شوطاً في أيام قليلة حتى نسيا وجود المصورين. ولأول مرة تشرع كيتلين بالاسترخاء والراحة منذ طرق إيدن بابها الخارجي.

جلس بجانبها يهمس بتعليقاته في أذنها قبل أن يقف ليحضر شراباً من المقصف. وعندما عثرت عليها إيزي كانت تجلس وحيدة.

- أظن أن عليك أن توضحي الكثير من الأمور أيتها الشابة.

التوى قلبها لهذه الكلمات الرقيقة، فأجابت: «نعم، هذا ما أظنه. لعلك تكرهينني الآن».

- هذا ما يفترض بي أن أفعله.

وابتسمت كيتلين برجاء فأخذت إيزي تتأملها بملامح جادة قبل أن تبتسم قائلة: «هل أفعل وذاك الشاب يمسك بذراعك والسعادة تبدو عليك؟».

تنهدت كيتلين بارتياح، ثم طوقت خصر صديقتها بذراعها: «شكراً».

- أنت تعلمين أنكما تبدوان سعيدين بشكل يثير القرف، أليس كذلك؟

- سيحيّرك عندما تعرفينه.

ألقت إيزي عليه نظرة جانبيه: «ربما ستتاح لي الفرصة الآن بعد أن

تعرفت إليه».

عبست كيتلين: «أستحق ذلك. كان عليّ أن أخبرك..».

- حسناً... ليتك فعلت ذلك قبل أن أحدد لك موعداً مع سيمون. لعلك كنت تتحدثين حينذاك مع إيدن.

كان هذا صحيحاً نظرياً: «كنا في بداية تعارفنا حينذاك».

وتجنبت نظرات صديقتها والتفتت إلى إيدن الواقف في الجانب الآخر من القاعة. غريب كم تفتقد جلوسه بجانبها.

رأت بجانبه رجلاً أشقر طويل القامة، يلقي عليه التحية بعناق رجولي فابتسمت.

- ماذا عليّ أن أفعل لكي تصفحي عني؟

نظرت إليها إيزي بوجه متألق: «حسناً، يمكنك أن تبدئي بتقديمي إلى ذلك الرجل الرائع الذي يتحدث إلى خطيبك».

- حاضر.

قطعتا الغرفة المزدحمة، ومالت إيزي برأسها نحوها قائلة: «كما أنني أرحب جداً بأن أكون وصيفة العروس».

- من قال إنني سأطلب منك ذلك؟

- بل ستفعلين. لكنني لن...

- لن تضعي على ثوبك زينة غير ضرورية... أعرف هذا.

نظر إيدن إليهما وهما تقتربان ثم ابتسم لكيتلين ورفع يده يدعوها للارتماء في أحضانه.

- مرحباً.

بادلته الابتسام: «مرحباً. أحضرت أعز صديقة لي لأعرفك إليها. هذه إيزي وهذا إيدن، يا إيزي».

صافحته إيزي قائلة: «الخطيب الغامض. لقد تقابلنا أخيراً».

صافحها إيدن باسماً: «هذا صحيح. سمعت عنك الكثير».

رفعت كيتلين حاجبيها متسائلة، فشدّ ذراعه حولها، ليشعرها بأنه فهمها. وضحكت إيزي: «أراهن على ذلك».

ونظرت إلى الرجل الآخر متسائلة: «وأنت السيد..؟».

صافحها الرجل الآخر قائلاً: «مايك. وأنا صديق إيدن منذ سنوات».

- ربما علينا أنا وأنت أن نجتمع يوماً ما لكي نقارن بين ملاحظاتنا على هذين الاثنين.

شحب لون كيتلين لهذه الفكرة وقالت: «يمكنكما أن تثرثرا أثناء حفل الزفاف».

- أنا واثقة من أننا سنتقابل قبل الزفاف.

نظرت كيتلين إليها باستغراب. كلا، لن يحصل هذا فالأمر صعب بما يكفي.

وقالت إيزي: «لدي قصص كثيرة عن كيتلين ومن المؤسف ألاّ تروى».

فقال مايك: «وأنا لديّ قصص كثيرة عن إيدن».

قطب إيدن: «القصص التي أقسمت على ألاّ تخبرها لأحد؟».

أقترب مايك من كيتلين: «ثمة قصص كثيرة عنه».

بادلته كيتلين الأبتسام: «أخبرني بها».

فقال إيدن وهو يشد ذراعه حول خصرها: «لن يخبرك».

وحملق في مايك مضيفاً: «أنت لا تريد أن تغير كيتلين رأيها قبل الزفاف، أليس كذلك يا صديقي القديم؟».

فقال مايك بابتسامة صغيرة: «لا، لا نريد ذلك. وأنا واثق من أنها ستعرف الحقيقة بعد النطق بعهود الزواج».

شعر إيدن برغبة في أن يكتم أنفاس مايك، لكن، ومن بين كل أصدقاء الأيام القديمة البائسة، أحس أن مايك هو الوحيد الذي لن يتقبّل هذا كله. مشاعره نحو كيتلين هي التي جعلته يرغب في أن يتعرف مايك

إليها، وكأنه أراد أن يتباهى بها كخطيبته الحقيقية، وليس الخطيبة الزائفة.

ابتسمت كيتلين لإيدن، وشدّت ذراعها حول خصره. الكذب على الأصدقاء لا يمكن أن يكون أسهل عليه، مما هو عليها. لكنهما في مركب واحد الآن، وأقل ما عليها أن تفعل هو أن تسانده كما يساندها. وقالت: «أعلم عنه ما أنا بحاجة لأن أعلمه».

تأملهما مايك بإمعان ثم قال: «يسرّني أن أراه مع فتاة مثلك يا كيتلين. ستكونان متلائمين».

اقتربت إيزي ووقفت بجانبه وهي تقول: «أليسا متلائمين تماماً. عندما ترى الناس يتعارفون ويقعون في الحب، ألا يتملكك شعور غامض بالدفء؟».

فرد باسماً: «نعم، أليس كذلك؟».

نظرت إليه وعادت تسأله: «إذن... أنت عازب، أليس كذلك يا مايك؟».

ابتسمت كيتلين لدهاء صديقتها التي قررت ألاّ تضيع الوقت. مسكين مايك!

لمعت عينا مايك: «هذا هو المفروض».

- وما هو نوع عملك؟

ضحك إيدن: «ألم يقل لك بعد؟».

- لا. لا أظن ذلك.

بقي مايك ينظر إليها بعينين لامعتين: «أنا كاهن».

غصت إيزي بشربها.

بعد حوالي ساعة، رأى مايك كيتلين وحدها في الفناء فراح يتأملها من وراء الباب الزجاجي للحظات قبل أن يتقدّم منها ويتكلم.

- تبدين وكأنك تحملين أعباء العالم على كتفيك، ألا ينبغي أن تكوني سعيدة؟

اعتدلت كيتلين في جلستها ورسمت ابتسامة على شفتيها: «أنت لا تأخذ إجازة من العمل أبداً؟».

هز كتفيه: «ماذا يمكنني أن أقول؟ المكان يوحي بذلك».

والتفت إلى القاعة المزدحمة بالأصوات، ثم تقدم وجلس بجانبها: «كيف حالك؟».

- متعبة قليلاً.

فأومأ: «الاستعداد لحفل زفاف متعب».

تأملت جانب وجهه لحظة: «هل جئت إلى هنا لتنصحني بشأن الزواج؟».

- أتريدينني أن أفعل هذا؟

ضحكت: «لا. أنا على ما يرام».

- أنا مسرور بذلك.

- هل تعرف إيدن منذ وقت طويل؟

فأومأ: «لقد نشأنا معاً في بيت للرعاية».

نظرت إليه بدهشة: «إذن أنت تعرفه منذ وقت طويل؟».

- نحن لا نخفي أسراراً كثيرة عن بعضنا البعض.

- ما عدا سرّ علاقتنا.

أضافت الكلمات التي لم يقلها. أصبح سهلاً عليها أن تتفهم رد فعل الناس على ظهور خطيب بشكل مفاجئ. يبدو أن أصدقاء إيدن لا يختلفون عن صديقاتها من هذه الناحية.

فقال باسماً: «لا. أعترف بأني لم أعرف عنك شيئاً إلا منذ فترة قصيرة جداً، وعليّ أن أقول إنني مازلت مدهوشاً».

انقبض قلبها، أتراه خمّن ما يحصل؟ أتراه أدرك بشكل ما أن خطبتهما غير حقيقية؟ وتابع يقول باسماً: «لم أتوقع منه أن يتصرف معك بهذا الشكل».

- آسفة، لم أفهم.

- أنت لا تشبهين أي فتاة عرفها.

- أحقاً؟

ضحك للقلق الذي ارتسم على وجهها: «لا تقلقي. هذا ليس أمراً سيئاً. فهو لم يبدُ يوماً سعيداً بهذا الشكل مع أي فتاة أخرى».

- لا؟

- لا.

حاولت أن تضيف شيئاً آخر، لكنها لم تكن واثقة مما إذا كان مايك يشتبه في شيء أم لا. في الحقيقة، لم تعرف ما إذا كان عليها أن تكذب فيما لو طرح عليها سؤالاً مباشراً.

على أيّ حال، يبقى كاهناً وتربيتها لا تسمح لها بالكذب عليه، حتى لو استطاع إيدن ذلك.

لكن لعله لا يحاول أن يستفسر عن علاقتهما. لعله يحاول فقط أن يعلمها أن العلاقة التي يظن أنها تجمعهما أمر جيد.

- هل كنّ جميعاً غير مناسبات له؟

فهز مايك كتفيه: «أظن ذلك، وإلا لبقي مع إحداهن».

سألته بفضول: «كيف كنّ؟».

- القليلات اللاتي عرفتهن كن لطيفات للغاية. لكنه لم يكن ينظر إلى أي منهن كما ينظر إليك.

سألته وهي تحاول أن تقرأ بين السطور: «وكيف ينظر إليّ؟».

- وكأنك أهم ما لديه في الحياة، وكأنك هبة غالية من الله عليه أن يرعاها. ما من زيف في مشاعره نحوك. ولا أظن أنّ أحداً يعتقد ذلك.

كانت الكلمات أشبه بسيف ذي حدين.

كانت تنسى أحياناً أن هذا كله مجرد تمثيلية، وسرّها أن ينظر إيدن إليها بذلك الشكل، فهي أرادت أن يفعل ذلك. في وقت قصير جداً،

أصبح بينهما رابط لا يمكن أن يفهمه أحد، فلا أحد يعيش معهما الكذبة التي يعيشانها. ومهما حدث بعد نهاية هذا العرض، سيبقى ذلك الرابط بينهما على الدوام.

لكنها من ناحية أخرى تعرف أن ما يفعلانه زائف... وهي الكلمة نفسها التي استعملها مايك لتوّه.

وفجأة شعرت بعدم الارتياح لجلوسها بجانبه. ورسمت ابتسامة على وجهها، وابتلعت شكوكها وهي تقول: «شكراً. إنني حقاً مهتمة به، يا مايك».

أدركت أنها تقول الحقيقة ما إن نطقت بهذه الكلمات وأدهشها هذا رغم ثقتها بأن إيدن سيساندها دوماً... وربما أكثر مما يلزم!

- يمكنني أن أرى ذلك. ولا أظن أنّ طريقة تعارفكما مهمة يا كيتلين، سواء أكانت بواسطة الإنترنيت أم لا. كل ما يهم هو ما أراه عندما تتبادلان النظرات.

وأمسك بيدها يعتصرها بابتسامة حارة قبل أن يردف: «أرجو أن تبقيا كذلك».

١٤ - مشاعر زائفة

- خرج مايك وتحدث إليّ لبعض الوقت. إنه رجل لطيف.

انقلب إيدن نحوها في الظلام، مقطباً: «ماذا قال؟».

التفتت نحوه قليلاً، وحاولت أن تتبين قسمات وجهه في العتمة.

كانت واعية إلى الجوّ الحميم الذي ساد بينهما، وإلى كل صوت أو حركة تصدر عنه. بدأت الأمور تتغير بينهما وكانت تشعر بذلك.

وأجابت: «قال أمور حلوة مثل أنه لم يرك تتصرف مع فتاة أخرى كما تتصرف معي. لكن هذا بدا غريباً».

- غريب من أي ناحية؟

كانت قد فكرت في الأمر طويلاً. حتى بعد أن أصبح بيت والديها خالياً بعد رحيل الضيوف، بقيت تشعر بما يشبه عسر الهضم، ألم بسيط في معدتها لا يزول.

- لا أدري، يا إيدن. غريب وحسب. وكأنه يعلم أن ثمة سر بيننا، لكنه قال إن لا بأس بذلك على أيّ حال.

فكر إيدن ملياً في كلامها، ثم قال: «ماذا قال بالضبط؟».

تنهدت: «قال إنه لم يرك قط تتصرف مع فتاة كما تتصرف معي، وإن ما من زيف في مشاعرك نحوي».

ومرّة أخرى، أخذ إيدن يتساءل عما إذا ارتكب خطأ عندما أخبر مايك بما يجري. لكن مايك هو الوحيد الذي يعرف كل شيء عنه. لعله كان بحاجة إليه ليقول مثل هذا الكلام لكيتلين.

بقي صامتاً لحظات عدّة، مقلباً الأمر في ذهنه. وسط هذه الأكاذيب كلها، عليه على الأقل أن يكون صادقاً بالنسبة إلى مشاعره.

قال: «ما من زيف في مشاعري».

خفق قلبها لكلماته الرقيقة هذه، بينما تابع يقول: «إنه على صواب فأنا لم أتصرف قط مع أي فتاة أخرى كما أتصرف معك. بعد أن ينتهي العمل، علينا حقاً أن نتفاهم».

- أحقاً؟

- نعم. فالأمور أكثر تعقيداً من أن نتمكن من التفاهم الآن.

إنه على حق. لكن حقيقة أنه يريد أن يبقى معها حين ينتهي العمل ليتفاهما، منحتها بعض الأمل.

فقالت: «ظننت أنّ كلاً من سيعود إلى حياته الماضية، فلا يرى أحدنا الآخر بعد ذلك أبداً».

حبس أنفاسه: «وهل هذا ما تريدينه؟».

دنت منه أكثر، وأجابت: «لا. لا أريد ذلك».

قال: «وهذا ما لا أريده أنا، يا حبيبتي. لم أخطط قط للمشاركة في هذا العرض لأقابل امرأة مثلك».

- ولا أنا.

- وحدث هذا كله بسرعة فائقة.

- أعرف هذا.

عانقها: «ستزداد الأمور تعقيداً كلما اقتربنا من موعد الزفاف».

شعرت ببرودة ثلجية تتملكها: «أعرف هذا أيضاً. ولكن إذا بقينا صادقين مع بعضنا البعض، فستتجاوز ذلك بسلام».

- أتعتقدين ذلك؟

- نعم.

ومدت يدها تلمس جانب وجهه قبل أن تضيف: «بسببك. أعلم أنني

سأجتاز هذه المرحلة هنا، لأنك بجانبي. سيكون الأمر... لا أدري... أسهل، كما أظن، إذ يبدو وكأننا لم نكن نكذب. ربما عليّ أن أقلق لذلك».

شعر بقلبه يلتوي لكلماتها. إنها تثق به... ثقة لا يستحقها. وقال: «ثمة الكثير مما عليّ أن أخبرك به..».

وضعت إصبعها على فمه تسكته: «الآن وبعد أن عرفت أنك ستبقى معي بعد أن ينتهي هذا كله، أدرك أنه مازال لدينا وقت. يمكنني أن أنتظر».

وفجأة، لم يعد ثمة حاجة للكلام، لأن علاقتهما اختصرت بعناق. تأوه إيدن من أعماقه فهذا أكثر ما لديهما صدقاً.

ما من كذب... أو خداع في مشاعره نحوها. كان يغرق، وهي حبل الخلاص.

بقيا صامتين فترة ثم عاد إيدن يهمس: «أتفعلين شيئاً من أجلي؟».

- ما هو؟

- عندما ينتهي هذا كله، تذكري ما يجري بيننا، وتعلقي به مهما حدث.

شعرت بذاك الإحساس بعسر الهضم يعاودها: «قال مايك كلاماً مشابهاً».

فرفع حاجبيه: «أقال هذا؟».

- نعم، وتملكني حينذاك الإحساس السيئ نفسه الذي سببّته لي أنت الآن.

أخذ يلامس صدغها مواسياً: «قد تحدث أمور كثيرة خلال الأشهر القليلة القادمة. وقد يصبح الزفاف مصدر ضغط وإزعاج».

- لعل هذا ما عناه. لعله خائف من أن أهرب قبل أن تقودني أنت إلى الكنيسة.

www.liilmangia.com

- ربما. لكننا نعلم أن هذا لن يحدث.

استمر في مواساتها وهو يتابع: «إنني أتحدث عما سيحدث لاحقاً عندما ينتهي هذا كله».

- عندما تخبرني الحقيقة مثلاً؟

- نعم. شيء من هذا القبيل.

- لن يكون هذا سهلاً، يا إيدن. أدركت هذا منذ البداية.

- عليك إذن أن تعلمي أنه قد يصبح من الصعب أن ينظر أحدنا إلى الآخر عندما تظهر الحقيقة.

لمست وجنته بإبهامها قائلة: «لكن هذا لن يغيّر ما بيننا».

- كلا. ذلك لن يغيره. ولهذا السبب أردتك أن تتذكريه.

- سأفعل.

ومالت نحوه تعانقه مرة أخرى، عناقاً رقيقاً بمثابة وعد منها: «وكيف أنسى؟».

دعا إيدن الله بصمت كي تتذكر. كلما ازداد هذا النوع من الذكريات في قلبها وعقلها، ازدادت إمكانية ألاّ تكرهه عندما ينتهي هذا العمل. لا يريد أن يفقدها لأنه مغرم بكيتلين رورك.

١٥ - مصارحة وتهديد

بعد حفل الخطوبة، كانت إيزي أول من شك في وجود خطب ما. حصل هذا عندما وجدوا أخيراً الثوب الذي بحثوا عنه في كافة الأنحاء. لم تكن كيتلين تظن أنها سترغب في الحصول على هذا الثوب الرائع من أجل كذبة كبرى، لكن هذا ما حدث. لم يعجبها ايّ من الأثواب التي قاستها حتى وجدت الثوب المطلوب في متجر صغير.

وقفت أمام المرايا الثلاث العريضة، وحدقت في صورتها بعينين واسعتين، بينما أخذت أمها تبحث في حقيبتها عن منديل، ثم قالت وهي تمسح دموعها: «إنه رائع يا حبيبتي. تبدين رائعة».

كانت كيتلين واعية لوجود ميك الذي يحرك آلة التصوير بحثاً عن الزاوية الأفضل، لكنها لم تستطع أن تنظر بعيداً من خلال المرايا أمامها.

غيّر الثوب مظهرها ليس لأنه رائع التفصيل، أو لأن القماش ينسدل على جسدها كملامسة عاشق، أو لأنها لم تحب حقيقة أنها بدت أشبه بأميرة كما ينبغي لكل عروس أن تبدو.

وأثناء الجولة للبحث عن الحلوى والازهار والدعوات، كانت تسمح لنفسها بأن تجرفها الأحلام.

والآن وفيما هي تنظر إلى نفسها في المرآة، كانت تتصور وجه إيدن وهو يقف في آخر ممّر الكنيسة ينتظرها. وتمنت، للحظة، لو أن هذا الأمر لم يكن كله كذباً.

كانت مغرمة بإيدن.

متى حدث هذا؟ وأدركت بوضوح مفاجئ أنه تسلل إلى كيانها منذ أسابيع. لماذا لم تلاحظ ذلك؟

وقفت خلفها البائعة تثبّت النقاب الذي يصل إلى الأرض فيما استمرت كيتلين في التحديق أمامها.

مرّ الوقت بسرعة بينما كانت تظنه يمرّ ببطء لثقل حمل الخداع وكان إيدن موجوداً في كل يوم. إنه في بيتها كل ليلة عندما تعود من العمل، وفي أوقات فراغها من العمل. كانا يتصرفان وكأنهما رفيقان، لكنهما ليسا رفيقين بنية الزواج ولم يتعارفا كما يظن الناس.

كانت الكذبة كاملة لو بقيا يمثلان دور الحبيبين فيما هما يكرهان بعضهما البعض، كحالهما في بداية الأمر. لكن تلك الكراهية اختفت الآن بعد أن عرفته جيداً. في الواقع، لم يهتما بإخفاء هذه الحقيقة أمام آلات التصوير وقد بدا إيدن مصمماً على أن يظهر ما يحدث بينهما في الفيلم. برّر لها ذلك بأن المشاهد لا يمكن أن يظن بأنّ ثمة ما هو أكثر من الدور الذي يمثلانه.

لكن، وخلال الوقت الذي أمضياه معاً، بدأت تقع في غرامه. والآن راحت تحدق في نفسها في المرآة، وتفكر في ذلك.

ماذا عليها أن تفعل؟

كانت تعلم أنه يهتم بها حقاً، وأنه يريد أن يتفاهما بعد انتهاء الفيلم. لكن ماذا لو كرهما الكل لفعلتهما هذا؟ لأنهما أستغلا الجميع من أجل المال؟ كيف يمكن لعلاقتهما أن تتغلب على ذلك؟ ثمة فرصة حقيقية، وعليهما أن يختارا بين تصحيح علاقتيهما مع الآخرين الذين يحبانهم، وعلاقتهما الجديدة المؤسسة على الكذب.

ماذا لو اضطرت لأن تتخلّى عنه؟

وفيما الافكار والمشاعر في داخلها، تلاقت عيناها بعيني إيزي فبدا العبوس على ملامح هذه الأخيرة. رأت أنّ خطب ما. من المتجر،

انفصلت عنهما الأم لتبحث عن ثوب لها، فالتفتت إيزي إليها تتفحص وجهها ثم تنفست بعمق: «ثمة شيء غير عادي».

قالت كيتلين وهي تسارع الخطى على الرصيف، مخفية عينيها عن عيني صديقتها الذكيتين: «ألم يعجبك الثوب؟».

- بل أعجبني جداً

- إنه مثالي على حد قول أمك. أما ما لم يعجبني فهو ما بدا عليك عندما رأيت صورتك في المرآة. ما الذي يحدث، يا كيتلين؟

- سأتزوج. هذا ما سيحدث. ظننت أن الكل اختبر هذا.

- هذا صحيح، ولكن ثمة شيء آخر. أمر لم تخبرينا به. ألا تريدين أن تتزوجي إيدن؟

يمكنها على الأقل أن تجيب عن هذا السؤال بصدق حتى لو كان عليها أن تختار كلماتها بعناية، وستستخدم كلمة (أريد) بدلاً من (متلهفة إلى).

- طبعاً أريد أن أتزوج إيدن.

- إذن لِمَ يبدو عليك وكأن عالمك سينهار؟

رسمت كيتلين ابتسامة على فمها: «ألا تمرّ على كل عروس لحظة تشعر فيها بالقلق من الزواج الذي ستقدم عليه؟».

- التوتر قبل الزواج، هل هذه هي المشكلة؟ لكن يبدو وكأنّ الأمر تعدّى ذلك معك.

- كلا.

لعل الكذب أصبح أسهل عليها.

وعندما أشاحت بنظرها بعيداً، أخذت إيزي تتفحصها ثم ضغطت على ذراعها وقالت عابسة: «انظري إلي».

تنفست كيتلين بعمق ثم نظرت إلى عينيها رغماً عنها وهي تسألها بهدوء: «ماذا؟».

هزت إيزي رأسها: «ثمة خطب ما، يا كيتلين، وأنا أشعر به. إنني أعرفك جيداً».

- أنت مخطئة.

وكانت هذه كذبة أخرى.

لمعت عينا إيزي غضباً: «لم تخبئي عني شيئاً قط من قبل».

- لكنني لا أفعل هذا الآن.

وهذه أيضاً كذبة أخرى.

- بل تفعلين. تباً! إني أراقبك مع إيدن منذ الحفلة، وقد لاحظت وجود خطب ما. لكن عندما تنظران إلى بعضكما البعض أعود وأقول إنها مجرد تهيؤات.

- وهي كذلك.

كانت الأكاذيب تتالى وكلما نطقت بواحدة منها شعرت بجزء منها يموت. إذا كان عليها أن تختار، فهل تفضل إيدن على إيزي وأسرتها؟ هل يمكنها حقاً أن تتخلى عن جزء من حياتها، لكي تحاول أن تبني جزءً آخر؟

أخذت إيزي تتفحصها مرة أخرى والمشاعر المختلفة تتابع على وجهها، من الغضب إلى عدم التصديق إلى خيبة الأمل: «لقد تغيرت ولا أدري لماذا. عندما تكونين معه يبدو جلياً للكل أنك غارقة في غرامه. ولكن عندما تبتعدين عنه تبدين... لا أدري... تبدين حزينة... نوعاً ما».

طرقت كيتلين بعينيها وهي تنظر إليها محاولة أن تبعد الألم الذي رسمته على ملامحها كلمات إيزي. عندما تكون مع إيدن يسهل عليها أن تنسى كل ما عداه.. وعندما تبتعد عنه تساورها الشكوك.

- هل هو ليام؟ هل هو السبب؟ هل تشعرين بالذنب لأنك ستتزوجين رجلاً آخر؟

في الواقع، لم يعد لليام أيّ دخل في الموضوع، وهذا ما ينبغي أن يجعلها حزينة.

- الأمر لا يتعلق بليام.

- ما هو إذن؟

فهزت رأسها: «لا شيء».

- أنت تكذبين عليّ يا كيتلين ولا أدري لماذا.

ابتعدت إيزي عنها قليلاً فيما أردفت: «إنني أخلص صديقاتك ومن واجبي أن أبقى بجانبك لأساعدك. لكنني لا أستطيع هذا إذ لم تكوني صادقة معي. في الواقع، لا أستطيع لشدة حبي لك، أن أقف جانباً وأدعك تقترفين غلطة ما».

شعرت كيتلين بإيزي تبتعد عنها مسافة أكبر من الخطوات التي خطتها، وشعرت بالألم الشديد الذي ستتحمله عندما ستضطر لأن تختار بين الأهل الذين تحبهم والرجل الذي تحب. لم تكن واثقة من أنها ستتحمل. حينذاك لن تختار بل ستدعه يرحل.

- الزفاف لن يكون غلطة يا إيزي. صدقي كلامي هذا إذا كنت تحبينني.

جمدت إيزي مكانها: «أنا أحبك طبعاً».

- صدقي إذن أنني أفعل ما أنا مضطرة لأن أفعله.

نظرت إيزي إليها والألم يكسو ملامحها: «أشعر وكأنني لم أعد أعرفك، يا كيتلين. كيف حدث هذا لنا؟».

غصت كيتلين بريقها: «ستتغلّب على هذا. أعدك بأننا سنفعل. كل الأمور ستتحسن بعد الزفاف».

وبحثت عن كلمات تخفف بها من مخاوف صديقتها فقالت: «لم أكن أريد عرساً ضخماً يا إيزي، وأنا أجد هذا كله أصعب بكثير مما ظننت. احتملي معي فقط، وستعود الأمور بعدئذ كما يفترض بها أن

تكون، ثقي بي».

نظرت إيزي إليها محاولة أن تضبط مشاعرها وهي تقول: «أنا أحاول ذلك. صدقيني».

* * *

- كيتلين ليست هنا.

- أعلم هذا. لم أتِ لأرى ابنتي.

نظر إيدن إلى وجه بريندان رورك وأدرك أن الحديث الذي كان يتجنبه لا مفر منه الآن، فقال: «تفضل».

دخلا إلى غرفة الجلوس، وعلى الفور التفت إيدن إلى آلة التصوير على الجدار، وأنتظر حتى التفت الرجل ليواجهه وقد بدا الاتزان على ملامحه: «أريد أن أعلم لما ستتزوجك ابنتي».

فتح إيدن فمه ليتكلم لكن الرجل قاطعه: «ولا أريد أن تكذب فتقول إن السبب هو الحب، فثمة أمور أخرى».

- ولِمَ تكون هناك أمور أخرى؟

- لان كيتلين لم تخف عنا يوماً أيّ سرّ ولا حتى في فترة المراهقة، لطالما كانت تتحدث إليّ حتى جئت أنت.

- لم نقصد أبداً أن نجعل من الأمر سراً. لكن الأمور تسارعت، وهذا يحدث أحياناً.

- ولماذا تريدان الزواج خلال أسابيع فقط؟

- لأننا نريد أن نتزوج. لا نريد الانتظار.

- لا تريد الانتظار أم أنك لا تريدها أن تغيّر رأيها بالنسبة إلى الزواج؟

وشبّك يديه على صدره العريض يتحدى إيدن أن يكذّبه.

مضى وقت طويل منذ تحدّى رجل آخر إيدن، لكن بريندان رورك كان رجلاً قادراً على التحدّي... وليس بسبب حجمه وحسب.

شبك إيدن بدوره ذراعيه على صدره، لم يكن واثقاً مما إذا كان هذا

دفاعاً أم أنه يريد أن يظهر التصميم نفسه الذي يظهره الرجل الأكبر سناً وقال: «لقد انتظرت طويلاً لأعثر عليها، يا سيد رورك. وعندما نتزوج نكون قد فعلنا هذا لأنها رغبتنا، ولأن لدينا ما نكسبه».

فكّر في كلمات إيدن بعناية قبل أن يقول: «هل لديك مال، يا إيدن؟».

فاجأه هذا السؤال: «إذا أردت أن تعرف إذ كان بإمكاني أن أعيل كيتلين، فالجواب هو نعم».

- لا، أنا أسألك لأرى إن كانت ستتزوجك من اجل مالك.

- كانت ابنتي غامضة في الحديث عن طبيعة عملك.

لعل السبب في ذلك يعود إلى أنّ إيدن نفسه كان غامضاً في حديثه عن طبيعة عمله. جلّ ما تعرفه هو أنه يعمل على تأليف كتاب فكلما فتحت هذا الموضوع، سعى لأن يشتت ذهنها عنه.

- حالياً، أنا كاتب، أعمل على مخطوطات تركها أبي بعد موته. لقد أمضى حياته في تأليفها وأنا أنهي الآن ما بدأه.

- وهذا ما تعتاش منه، أليس كذلك؟

- ترك أيضاً منزلاً وبعض المال. كما قلت لك أنا لست فقيراً تماماً.

لديه راتب جيد من مهنته الحقيقية، لكنه لا يستطيع أن يذكر ذلك الآن.

تابع بريندان تفحّصه بعينين هادئتين، ثم رفع وجهه وسأله: «هل حدّثتك عن عملي؟».

أدهشه السؤال وارتفع بصره تلقائياً إلى آلة التصوير مرة أخرى: «أتعلم أنّ المكان مليء بآلات التصوير؟».

نظر بريندان إلى آلة التصوير ثم عاد ينظر إلى وجهه: «نعم، أعلم هذا. أفهم من جوابك أنها حدّثتك عن هذا الموضوع».

- نعم. فعلت ذلك.

وفكر إيدن في كلمات يطمئن بها الرجل إلى أن شؤونه الخاصة لم تكشف للعلن، ولن تُكشف. فتابع قائلاً: «لكنها لم تفعل أمام آلة التصوير. لذا حذار مما قد تقوله».

- لا يهمني مثقال ذرة ما يقال أمام هذه العدسات اللعينة. أهتم لكبريائي لكنني إنسان أيضاً، وأخطئ كغيري. فإذا لم يستطع اولئك الذين يشاهدون هذا العرض السخيف أن يحترموا هذا الأمر، فبصراحة لا يهمني ما يفكرون فيه».

وجه الكلمات الأخيرة إلى آلة التصوير مباشرة قبل أن يدير لها ظهره ويضيف: «ما يهمني هو ابنتي. وأنا لا أريدها أن تتزوجك لكي تساعدني وتخلّصني من مشاكلي المالية».

كان أقرب إلى الحقيقة مما يظن، ما جعل إيدن يصمت ثوانٍ ليستجمع أفكاره.

ازداد احترامه لهذا الرجل لأنه قدّم أسرته على كبريائه. ها هي كيتلين تحاول حماية شخص لا يثمّن بالنسبة إليها، فيما لا يريد هذا الشخص أن يحميه أحد.

- سأتزوج إبنتك لأنني أحبها، وسأبذل ما في وسعي لكي أسعدها. وإذا كان هذا الزواج يساعدك في الخروج من أزمتك، فهذا يسرّني».

لقد ضمّن هذا الخداع قدر إمكانه من الحقيقة، وتابع يقول: «سواء أقبلت العون منا أم لم تقبل فهذا لن يغيّر ما سنفعله».

- لن آخذ منك نقوداً، ويمكنك أن تخبر ابنتي بذلك. ولن أرافقها إلى الكنيسة إذا كان هذا هو سبب زواجها.

- هل تظن حقاً أن كيتلين ستورّط نفسها في زواج من دون حب كي تساعدك؟

هبطت كتفاه فجأة عند هذا السؤال: «أرجو أن تكون ابنتي أذكى من ذلك وأن تعلم أنني لن أسمح بذلك أبداً».

- عليك أن تصدق أن علاقتنا تتجاوز مسألة المال.

بدا القبول على ملامح بريندان: «أدرك هذا عندما أراها تنظر إليك إذ أرى في عينيها نظرة لم أرها فيهما منذ زمن طويل».

تسارعت دقات قلب إيدن لسماعه هذا الكلام.

- ما تريده كيتلين يهمني جداً، يا سيد رورك. ولن أدعها أبداً تفعل ما لا تريده. إنني أحب ما تحبه، وما يسعدها يسعدني.

سكت بريندان لحظة وبدا عليه الهدوء، ثم نظر في أنحاء الغرفة وعاد ينظر إليه: «هذا ما يعنيه الحب، أن تعطي قبل أن تفكر في نفسك».

- وهذا هو سبب تفهمي لرغبتك في التحدّث إليّ عن هذه الأمور كلها.

- جلّ ما أريده هو أن تكون ابنتي سعيدة، يا إيدن. ما من شيء في حياتي أهم من ذلك. أسرتي تحتل الأولوية بالنسبة إلي.

فأومأ إيدن: «وهذا هو التصرّف السليم. ولو كان تفكيرك مختلفاً لما احترمتك بهذا القدر».

وتقدم نحوه مردفاً: «ربما ليس لديّ خبرة مع أسرة حقيقية يا سيد رورك، لكنني أدرك ما تعنيه الأسرة، وأعرف أن ما لديك ثمين جداً. عند انتهاء هذا البرنامج، أظن أنّ العالم كله سيدرك ذلك».

- سيرى الأمور على حقيقتها. سأقاوم حتى آخر نفس في صدري من أجل أسرتي.

- أتمنى لو أن شعور أبي كان مماثلاً لشعورك.

تأمل بريندان وجه إيدن وهو يقول هذه الكلمات البسيطة، ثم أومأ باحترام لهذا الشاب الذي يقف أمامه: «كان عليه أن يفعل، وعدم إدراكه لذلك جعله يخسر الكثير. أنت لا تستحق ذلك، ولا أي شخص آخر».

- لا، لا أحد. هذه غلطة لن أقترفها قط مع أسرتي.

تبادلا النظر لحظة طويلة فيما كل واحد منهما يحاول أن يفهم المزيد عن الآخر. بعدئذ مد بريندان يده الضخمة ليصافح إيدن، قائلاً: «لن تفعل ذلك، يا فتى».

ومنحه ابتسامة دافئة مضيفاً: «لكنني مازلت لا أريد نقودك. وإذا أقدمت على ما يجعل ابنتي تبكي، فسأجعلك تندم».

١٦ - شياطين الحب

وقفت عند العتبة بصمت تنظر إليه. كان جالساً إلى المائدة في غرفة الطعام، وأمامه جهاز الكومبيوتر المحمول. لكنه لم يكن ينظر إلى الشاشة بل إلى خارج النافذة حيث الفناء الصغير المظلم، وقد بدا تائهاً في أفكاره.

أخذت تتأمل جانب وجهه، لتحفظ عن ظهر قلب تفاصيل ملامحه، من خصلات شعره السوداء الجعدة على رقبته، إلى خطوط فكه القوي.

راحت ترتوي من مظهره الرائع، في بيتها وفي حياتها.

عندما ينتهي العرض ستضطر لاحتمال خسارته على الأبد. عندما خسرت ليام كانت تعلم أنه رحل إلى الأبد وأنها لن تراه مجدداً، لكن في حالة إيدن ستمضي حياتها وهي تعلم أنه مازال موجوداً في مكان ما... يتنفس ويضحك ويحب بينما هي تمضي في حياتها من دون قلبها.

عندما أقحمت نفسها بتهوّر في هذه المغامرة، كانت دوافعها تستحق ذلك. فهي تسعى لأن تعيد لأهلها شيئاً هاماً للغاية. لكنها لم تدرك قط أنها ستفقد ما يماثله أهمية.

تحركت عيناه فرأى صورتها على الزجاج المعتم. ابتسم والتفت ينظر إليها: «مرحباً».

بادلته الابتسام: «مرحباً».

- كيف كان الثوب؟

- ممتاز.

www.alromancia.com

- لقد اشتريت ثوباً، إذن؟

- حسناً، هذه مهمة أخرى انتهينا منها. لم يعد لدينا الكثير من المهام الآن.

وابتسم مشجعاً، فقالت: «كلا».

إنهما في الطريق إلى الهدف... قريباً سينتهي كل هذا، فكرت في أن تطلعه على حديثها مع إيزي.

لكنها إن فعلت ستكشف عن مشاعرها جزئياً وهذا ما لا تريده، لا سيمّا بعد أن قررت أن تقطع علاقتها به بعد انتهاء العمل.

نظرت إلى المطبخ: «ألم تأكل بعد؟».

- لا. فكرت في أن أنتظرك.

نظر إليها وهي تبتعد عن الباب، متأملاً وجهها. بدت مختلفة بشكل ما أو لعله هو من ينظر إليها بشكل مختلف بعد حديثه مع أبيها. لا يستطيع أن يخبرها بما قاله أبوها فهي ستموت لو علمت أنها تفعل هذا كله من دون فائدة. عليهما أن يجدا طريقة كي يقبل المال بعد انتهاء الفيلم. عندما يعرف أبوها القصة كلها فسيدرك أن الأسرة مهمة بالنسبة إلى ابنته، بقدر ما هي مهمة بالنسبة له. وسيضطر لقبول المال وإلا سيجعلهم جميعاً تعساء... لا سيّما كيتلين.

- أخرجت زينة عيد الميلاد. فكرت في أن نضع الشجرة الليلة.

لم تكد تفكر في عيد الميلاد بعد، رغم أنّ الكل يذكّر به. لديها الكثير لتفكر فيه بدلاً من الزينة والهدايا.

- لا بأس. هذه خطة جيدة. سأحضّر العشاء.

نهض واقترب منها: «أتحتاجين مساعدة؟ أصبحت ماهراً في المطبخ الآن».

ابتسمت وسألته: «أتظن هذا؟».

وعندما أصبح بجانبها، ضربت كتفه بكتفها فقال: «لم أحرق شيئاً منذ

أيام».

- ربما، لكنني مازلت أظن أن موهبتك ليست في المطبخ.

فقال وهو يحني رأسه على رأسها: «هذا صحيح، لدي موهبة في مجال آخر بكل تأكيد».

مع مرور الوقت، ازداد التوتر بينهما، وأصبحت بحاجة إلى الابتعاد عن هذه الحرارة لتحافظ على نفسها فسألته: «أين أصبحت في الكتابة الآن؟».

- تقدّم العمل بشكل جيد وأصبح جاهزاً للعرض على العالم.

عبس قليلاً لهذه الفكرة، لكن لطالما ساوره الشك قليلاً قبل أن يخرج أحد مشاريعه للعلن.

- هل سترسله إلى الناشر ليقرأه؟

فأومأ: «سيكون مخجلاً لي ولأبي ألاّ أفعل بعد أن أمضينا وقتاً طويلاً لأجله من دون أن نرى ضوء النهار. لطالما كنت أنوي أن أعرض هذا العمل على أحدهم».

كانت كيتلين على علم بالمشروع الذي عمل عليه ستة أشهر قبل أن يعرفها، وقدّرت أنه سبب حاجته إلى المال من هذا العمل التلفزيوني. كان هذا تكريماً منه لرجل لم يره قط.

لم تستطع أن تفهم سبب رغبته في ذلك لكنه بدا متحمساً جداً له ما جعله ذا قيمة في نظرها.

- هل يمكنني أن أقرأه؟

هز كتفيه محاولاً أن يظهر عدم اهتمامه فيما هو يرغب في الواقع في أن تقرأه، في أن تفهم بعض الأسباب التي دفعته لأن يخدعها. وقال: «كما تشائين».

- حسناً، سنتناول العشاء أولاً، ثم سأقرأ فيما تقوم أنت بتزيين الشجرة.

فقال مدهوشاً: «أتريدينني أن أقوم بتزيين الشجرة؟».

لم يسبق له أن قام بتزيين شجرة العيد قط كما أنّ الصناديق التي أنزلها من مخزنها بدت له وكأنها تحتوي على مليون قطعة زينة لامعة.

- وحدي؟

ضحكت للتعبير الذي بدا على وجهه: «سأعطيك إرشاداتي من الأريكة حيث أجلس».

- أحقاً؟ وما هي مكافأتي على هذا العمل الشاق كله؟

كتمت ابتسامتها: «هي أن تراني بعد أسبوعين في ثوبي الرائع».

ثم حوّلت نظراتها عن المشاعر الحارة التي بدت في عينيه.

حدّق فيها، وسرعان ما تصورها تسير نحوه في ثوب زفافها فغص بريقه. لم تكن الصورة في مخيلته زائفة بل حقيقية، وكما يريد تماماً.

كيتلين رورك، أسرتها، أصدقاؤها، مع أقاربه. في الأسابيع القليلة الماضية كوّن فكرة حقيقية عما ستكون عليه حياته عندما تصبح جزءاً من حياته.

ولم يشأ أن يدع هذه الصورة تتلاشى.

أراد أن يعيش بسعادة وهناء بقية حياته.

في ساعات الصباح الأولى انتهي تزيين الشجرة، وأشعل إيدن الأضواء محوّلاً جو الغرفة إلى جو خرافي. نظر من حوله في الغرفة الدافئة المكتملة المشهد مع كيتلين متكوّرة على الأريكة وفي حضنها جهاز الكومبيوتر المحمول.

ابتسم. كان هذا أسوأ أنواع العذاب. راح ينظر إليها وهي تقرأ في كتابه فيما هو يجاهد للتحكم بنفسه فلا يسألها رأيها في ما تقرأ، كما جاهد أكثر ليمنع نفسه من التقدّم منها ليأخذ منها الكمبيوتر ويجذبها إليه. كانت رائعة الجمال وقد زاد من سحرها أنها لم تكن واعية لوجوده.

أثناء القراءة، كانت تعض باطن شفتها السفلى وهي تقطب جبينها.

كما كانت ردات فعل متضاربة تتعاقب على ملامحها من حين إلى آخر. وكان يسمع أحياناً شهقتها التي تعلو على صوت الموسيقى الناعمة الكلاسيكية. ابتسم راضياً وهو يلهو بالزينة، وغالباً ما كان يسأل مرتين قبل أن تجيبه عن مكان هذه الزينة أو تلك.

- انتهى.

لم ترفع عينيها عن الشاشة وهي تقول: «إنها جميلة».

فقال ضاحكاً: «أنت لم تنظري إليها».

رفعت بصرها لتتأمل لحظة الغرفة: «جميل».

وعادت إلى الشاشة. ولم يستطع هو أن يحتمل أكثر فتقدم وجلس بجانبها، وراح يلوّح بيده أمام الشاشة: «مرحباً؟ الأرض تنادي كيتلين».

أبعدت يده قائلة: «أنا أقرأ. ابتعد عني».

- لم يعد لدي ما أفعله الآن.

- اذهب إذن وحضّر الشاي أو أي شيء آخر.

لم تنظر إليه لكنه أدرك من احمرار وجنتيها أنها تأثرت بقربه، فقال: «لا أريد شاياً».

جاهدت لتتجاهله وركزت اهتمامها على الكلمات التي تظهر على الشاشة لكن عبثاً، فرفعت بصرها إليه: «لم تخبرني».

رفع حاجبيه: «أنني لا أريد شاياً؟».

- كلا، يا معتوه. بل أن هذا رائع. هذا الكتاب ليس مجرد قصة تاريخية . أنت قلت إن أباك كان مؤرخاً.

- هذا صحيح.

- لكن هذا ليس مجرد تاريخ محلي بل مجموعة من القصص الغرامية موضوعة في إطارها التاريخي.

فأومأ: «لقد ارتجلت بعض أحداثها».

مالت نحوه تنظر إليه بعجب: «هذه ليست مجرد كتاب بل فيلم على

ورق».

تجنب النظر في عينيها وهو يرفع الكمبيوتر عن ركبتيها.

- أهذا هو رأيك؟

- نعم. بالتأكيد.

- أشعر وكأنني أرى المشاهد أمامي فيما أنا أقرأها. عليك أن تسعى لإنتاج فيلم من هذا. بإمكان بعض العاملين في هذا العرض أن يساعدوك.

فقال وهو يغلق الجهاز: «ربما. أنا مسرور لأنه أعجبك».

أمسكت بذقنه تدير وجهه نحوها لتقول وهي تبتسم: «إنه رائع. هل لديك فكرة عن مدى موهبتك؟».

أمسك بأصابعها على وجهه وقال بصوت مثقل بالمشاعر وهو ينظر في عينيها: «هذا ليس من تأليفي بأكمله، يا حبيبتي. لقد أضفت إليه بعض التفاصيل. هذا الكتاب تركه أبي».

تأملت عينيه، وشعرت أنها بدأت تفهم.

- لا بد أن أباك أمضى سنوات عمره في تأليف هذا الكتاب بكافة تفاصيله. مئات من سنوات التاريخ.

فأومأ برأسه: «نعم».

- ولا بد أنه كان مأخوذاً كلياً.

أنزل يديها المتشابكتين عن وجهه ونظر إليهما: «نعم».

ارتجف صوتها وهي تسأل: «كان مأخوذاً بحيث غاب عن ذهنه أيّ شيء آخر، حتى أنت، أليس كذلك؟».

لم يستطع أن ينظر إليها... فشدّت على يده: «وتفهّمته أنت عندما بدأت تقرأ هذا المؤلف. هذه طريقتك في القول إنك صفحت عنه».

استمّر إيدن في تفحص يديها وهو يعرّي روحه لأول مرة ثم تنحنح قبل أن يجيب: «ما كنت لأتصرف مثله. لا يمكن أن أصل إلى حد أنسى معه

أولئك الذين أحبهم».

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تصغي إلى صوته المتهدج، وهو يضيف: «لهذا لا يمكن أن أصفح عنه، ولا أدري إن كنت سأفعل يوماً ما، لكنني أتفهّم عذره. وقيامي بهذا العمل هو أفضل طريقة وجدتها لإظهار هذا. على شخص ما أن يعلم ما الذي شغله طيلة حياته».

- لقد ملأت الصفحات البيضاء، أدخلت في الكتاب الحب الذي أهمله هو عند تأليفه له. هذا ما فعلته أنت.

مد يده يمسح دموعها وهو يقول بحزن: «لا تبكي. لا بأس! كان عليّ أن أفعل هذا وقد فعلته. وكان هذا يستحق التعب إذا ما قربني منك».

أحبك... تراقصت هذه الكلمة على طرف لسانها. وكيف يمكنها ألاّ تحبه؟ هذا الرجل الصامت القويّ الذي كان يطرد الشياطين وذلك بتكريم الرجل الذي كان السبب في وجود تلك الشياطين منذ البداية؟

لكل واحد منهما سببه الشخصي الذي دفعه للموافقة على المشاركة في هذا العرض. السببين يعكس حبهما للأسرة، أسرة سادها الحب، وأخرى عاشت من دونه.

مع إدراكها لهذا كله، أصبحت أكثر وعياً لما ستتخلى عنه.

ليتهما تعارفا بطريقة أخرى! ليتها رأته في الشارع، أو تعرفت إليه في حفلة ما!... هل كانت ستقترب منه بهذا الشكل أو تسمح له بالتقرّب منها؟

كانت لديها، هي أيضاً، شياطينها. شياطين مرتبطة بالحب الذي كان لديها وخسرته. لم تعتقد يوماً أنها ستحب مرة أخرى كما أحبت ليام، لكنها حينذاك كانت صغيرة في السن... وهي الآن امرأة. وهذه المرأة أحبت هذا الرجل بكل ما لديها من مشاعر.

طوّقت عنقه بذراعيها وأخفت رأسها في كتفه.

لابد من وجود طريقة ما. عليها أن تجد طريقة تجعل أسرتها

www.elromancia.com

وأصدقاءها يدركون أنها رغم خداعها لهم لم تكن تكذب حقاً. عليهم أن يفهموا أنها لا تستطيع أن تتخلى عنه. أن تضطر لأن تختار بينهم بينه سيحطم قلبها. لا بد أن ثمة طريقة أخرى.

١٧ - ورحل

ضاقت عيناها وهي تتأمل كارا وإيزي الغارقتان في حديث عميق في فناء الدار والملتفتين بمعطفيهما تحاشياً للبرد.

لاحظت أنّ أعينهما تحوّلت مراراً نحو المنزل، لتعود فتنظر بعيداً. مهما كان ما يغيظ إيزي، فهو يسعر النار التي تشتعل في قلب كارا.

قال إيدن وهو يقف إلى جانبها ويده على ظهرها: «هل أنت بخير؟ يبدو عليك التعب».

كانت متعبة، لا بل مرهقة في الواقع، عاطفياً وجسدياً. لم يبق سوى يومين على الزواج، وكانت تشعر بأنها تحمل عبء العالم كله على كتفيها. لم يكن عليها أن تواجه أسرتها وحسب، بل عليها أيضاً أن تقدم على خيار يلازمها مدى الحياة، ومثل هذا القرار حرمها طعم النوم الهانئ.

وكانت أمها قد أصرّت أن تتبع التقاليد المتوارثة حيث تقام حفلات ليلية فيأتي الأصدقاء وأفراد الأسرة إلى البيت حاملين معهم الهدايا ليهنئوا العروسين.

التفت إيدن إلى الفناء حيث الفتاتين وقال: «كارا وإيزي تخططان لشيء ما. أتظنينهما تخططان لحفلة صاخبة؟».

لعل كيتلين استسلمت لإرادة الأسرة ورضيت بإقامة زفاف تقليدي استجابة لإلحاح الأم، لكنها لن تقيم أيّ حفل خاص لأصدقائها.

- لا، لا أظن هذا. أظن أنّ إيزي تعرف شيئاً ما.

www.elmanara.com

اتسعت عيناه: «ما الذي جعلك تظنين هذا؟».

تنهدت: «لقد استنطقتني يوم شرائي الثوب».

- لماذا لم تخبريني؟

لأنها لم تعد تفعل. لم تأت على ذكر هذا الموضوع، بل راحت تتحاشاها وتبتعد عنها ما جعلها تدرك أن الأمور لم تصطلح بينهما بعد.

- هل تظنين أنها تتحدث عن ذلك إلى كارا؟

فأومأت كيتلين: «لم تكن كارا متحمسة لعلاقتنا منذ البداية».

كانت الأمور قد شارفت على الانتهاء، وبالتالي لن يسمح إيدن لأحد بأن يعرقل المسألة الآن. فهو يريد أن ينتهي هذا الأمر حتى يتمكّن من أن يكشف الحقيقة، ليبدأ مرة أخرى من دون كذب.

- سأتحدث إليهما.

وتوجه نحو الباب، لكن كيتلين أمسكت بيده تمنعه باسمة: «لا، أنا سأفعل. أنا المسؤولة عنهما، إبق أنت هنا وتحدث إلى الناس الذين وصلوا لتوّهم».

تردد لحظة، فاستعدت لمجادلته، لكنه عاد فابتسم وقال: «حسناً، سأدعهما لك».

وفجأة انقطع الحديث عندما فتحت كيتلين الباب: «هل يمكنني أن أدعوكما للدخول إلى حيث الجو الدافئ؟».

شبكت إيزي ذراعيها على صدرها: «لا. نحن مسرورتان هنا».

هزت كيتلين كتفها، متمنية لو أحضرت معها معطفها: «هذا حسن. سآتي لأجلس معكم».

وأغلقت الباب خلفها، فقالت كارا: «ستتجمدين من البرد. لا نريد أن يحمرّ أنفك في مثل هذا اليوم العظيم».

لاحظت كيتلين التهكم في صوت أختها، فقالت: «لا بأس. تكلما إذن».

نظرت إحداهما إلى الأخرى، ثم نظرت إيزي في عينيها مباشرة وسألتها: «هل ستطلعنا على ما يجري؟».

- سأتزوج بعد غد.

حملقت كارا فيها: «تتزوجين رجلاً لم تعرفيه أكثر من خمس دقائق؟».

فقالت كيتلين بثبات، مقاومة البرد القارس: «هذا الذي لم يعجبك. بالمناسبة وأنت الخاسرة، فهو أروع الرجال الذين عرفتهم».

- حسناً، كلنا نعلم منذ سنوات أن عليك أن تخرجي أكثر مما تفعلين.

- لعلك محقة. ربما كان عليّ أن أخرج من البيت بعد موت ليام أكثر مما فعلت، لكنني لم أكن مستعدة بعد. وهذه هي الحقيقة. لقد تعرفت إلى إيدن في الوقت المناسب. ولا يهم كيف حدث هذا، وكم كانت سرعته.

طرفت إيزي بعينيها: «إذا كنت مجنونة به إلى هذا الحد، فلِمَ يبدو عليك هذا الحزن كله قبل الزواج، إذن؟».

حدقت كيتلين فيها: «ربما لأن اثنتين من أحب الناس إليّ لا تريدان أن تصدقا أنني أحبه حقاً».

ساد الصمت لحظة قبل أن تقول بثبات: «هذه أول مرة تقولين فيها هذا لأي منا. هل تعلمين هذا؟».

أحقاً؟ وعادت بأفكارها إلى كل ما كانت تقوله لهم، إلى الأسباب التي قدمتها لهذا الزفاف. كانوا على صواب. لم تقل هذا قط من قبل. ربما لم يكن بإمكانها حينذاك أن تكذب في مسألة بهذه الأهمية.

لكن الأمر لم يعد كذباً الآن.

- أنا أحبه أكثر مما يمكنني شرحه لأي منكما.

وتهدج صوتها لهذه الكلمات اليائسة وهي تضيف: «وإذا اعتقدتما أن

ثمة أمر آخر يجري، فهذا عائد لكما».

تقدّمت إيزي منها وهي تقول والقلق في عينيها: «لكن ثمة أمر آخر، أليس كذلك؟ أمر آخر لا تظنين أن بإمكانك أن تخبرينا به».

وقفت كارا بدورها، واقتربت منها وقد رقّ صوتها: «أخبرينا أي شيء».

انطلقت شهقة من حنجرة كيتلين: «ليس الآن».

فتحت إيزي فمها لتتكلم، لكن كيتلين رفعت يدها: «لا يا إيزي، ليس الآن. يمكنكما أن تظنا ما تريدان، لكنني أعرف ما أفعل. أنا أحبه يا كارا وسأتزوجه. لا أحد سيغيّر هذا. وسواء شئتما أن تساندني أم أبيتما فهذا عائد إليكما».

نظرتا إليها وهي تستدير على عقبيها، لتقف ويدها على مقبض الباب، ثم تستدير ببطء وتتنفس بعمق قبل أن تقول: «أرجوكما. لا تدعاني أختار بينه وبينكما».

ثم وقبل أن تتمكّنا من الرد، ابتعدت عن وجهيهما المذهولين، وعادت إلى المنزل.

بقيت صامتة طوال رحلة العودة إلى دبلين، وراحت تنظر إلى الخارج فيما إيدن يقود السيارة وأخيرا ضجر الرجلان في المقعد الخلفي فأوقفا آلة التصوير.

بعد أن دخلا إلى البيت ورحل الرجلان، أمسك إيدن بيدها: «ماذا حدث؟».

ابتسمت له بحزن: «ليس الآن، يا إيدن. لا أستطيع الكلام الليلة».

- هل تجادلت معهما؟

فأومأت: «نعم».

أمسك بيدها حين حاولت الابتعاد عنه: «ماذا قالتا لك؟».

- هذا غير مهم. علينا فقط أن تحتمل يوماً آخر ثم تنتهي المسألة

كلها.

شعر ببرودة تنساب في ظهره: «لا مزيد من الأكاذيب؟».

- لا مزيد من الأكاذيب

كان صوتها فاتراً جامداً... وكأنهما مقبلان على جنازة وليس على زفاف. جلّ ما أراد إيدن أن يفعله هو أن يأخذها بين ذراعيها ويخبرها بأن الأمور ستكون بخير. لكنه لم يستطع أن يفعل ذلك، لأنه مازال يجهل ما ستؤول إليه المسألة.

سألها بصوت خافت: «هل أنت نادمة على هذا العمل ياكيتلين رورك؟».

أتراها نادمة؟ لو استطاعت أن تعيد عقارب الساعة إلى الوراء وتبدأ به من جديد، فهل ستفعل؟ لم تعرف كيتلين بما تجيبه. لقد كانت آمنة من قبل. عاشت في وحدة أكبر مما سمحت لنفسها بالاعتراف به لكنها كانت تتمتع بحب واحترام أسرتها وأصدقائها. كان بإمكانها أن تساندهم وتراقب أباها وهو يخسر كل ما في حياته، ولكنها ستحتفظ بحبه واحترامه.

لكن لو لم تفعل هذا، فهل كانت لتقابل أيدن؟ هذا سؤال تتركه للقضاء والقدر. ولكن من المؤكد أنها لو أحبته كما تحبه الآن، لحدث هذا. أن تتملكها هذه المشاعر القوية التي لم تعرفها من قبل، أمر محيّر حقاً. وحتى لو لم تكن مشاعره بقوة مشاعرها، لما رغبت في أن تتخلى عن هذه التجربة معه. فقد اكتشفت الآن كم يحمل قلبها من مشاعر.

التفتت إليه وحدّقت في عينيه القاتمتي الزرقة، وابتسمت من دون اهتمام بما قد يراه في عينيها: «أنا لست نادمة على تعرّفي إليك، ولن أنسى ذلك أبداً».

شعر بأنه لم يعد يستطيع التنفس، نظر في عينيها ولم يشأ أن يتوقف

عن ذلك إذ لم يرى مثل هذا الدفء قط من قبل.

لكن كلماتها جعلت البرودة تسري في كيانه لأنها بدت وكأنها تودّعه

- وأنا أيضاً لن أندم قط على تعرفي إليك. عليك أن تعلمي هذا.

- أعلم، لكنني أتمنى أحياناً لو أننا تعارفنا بطريقة أخرى.

- وأنا أيضاً.

أحاط وجهها بيديه، وراح يلامس خديها بإبهاميه. أراد أن يجمّد هذه اللحظة، فلا يواجها ما هو آت لكنه يعلم أن عليهما مواجهته. عليه أن يغتنم هذه الفرصة راجياً أن تعرفه إلى حد تصدق معه أنه لم يكن يخدعها.

رفعت يديها تمسك بيده وشفتها السفلى ترتجف فيما هي تحاول الاستمرار في الابتسام: «هذه آخر ليلة لنا في هذا البيت».

وكان يعلم ذلك ويفكر فيه بألم طوال النهار: «أيمكننا أن نتحدى التقاليد ونبقى هنا ليلة غد؟».

- سيغمي على أمي. إنه نذير شؤم.

- هذه آخر ليالينا، إذن.

أظلمت عيناها، وقرأ هو الرسالة فأحنى رأسه وعانقها بحنان. وشعر بها تتأوه فنظر في عينيها ثم هز رأسه ببطء وهمس: «لا أستطيع».

ردت عليه هامسة: «أنت لا تريد ذلك».

- بل أريد لكنني لا أستطيع.

وفجأة، لم تعد تهتم بما تصوره العدسات اللعينة. لقد مضى وقت طويل منذ تخلّت عن التظاهر أثناء وجودها معه وحدهما.

عانقها قبل أن يهمس: «لا أستطيع أن أستسلم لرغباتي ومشاعري فيما لا نزال محاطين بالأكاذيب».

اغرورقت عيناها بالدموع وقد فهمت عذره. لكن شعورها كان حقيقياً. إنها تعرفه جيداً إلى حد يجعلها تعلم أنه كان صادقاً معها طوال الوقت. عندما يكونان وحيدين تختفي الأكاذيب وتسقط وهي

تؤمن بذلك.

لكنها خائفة جداً، خائفة من أن تدفعهما الأمور بعد الزفاف في اتجاهين متناقضين، أن تمزقهما الأحداث. أرادت أن تبقى ذكرى هذه الليلة معه فلا تزول، وأن تربطه بها.

- أخاف أن أخسرك.

شعر بخوف شديد فلم يبق أمامه سوى يوم واحد ليريها أن ما بينهما حقيقي لكنه كان يعلم أن الكلمات غير كافية لتعوض عليها ما أخفاه عنها.

إذا بقي معها فقد لا يستطيع مقاومة إغراء أن يحتضنها الليل بطوله ما سيدفعهما حتماً إلى ما لا مفر منه.

إلا أنه لا يستطيع أن يستسلم لرغباته حتى تعرف الحقيقة كلها، حتى تدرك أن هذا الأمر صالح لها. فحتى لو صفحت عنه لأنه كذب عليها، لا يستطيع أن يغامر ويجعلها تختار بينه وبين أولئك الذين يحبونها وتحبهم. سيهرب قبل أن يدع هذا يحدث، وهو لا يريد أن يهرب لا سيّما الآن بعد أن اكتشف وجود امرأة تدعى كيتلين رورك.

ثمة أمر واحد يمكنه أن يفعله.

ابتعد عنها لينظر في عينيها: «لن تفقديني أبداً، يا حبيبتي. سأكون بقربك دائماً، طالما أنك تريدينني أن أبقى. الخيار لك دوماً. أريد أن تتذكري هذا. عديني بذلك».

قطبت قليلاً، وقد شتت ذهنها العزم البادي على وجهه: «إيدن... أنا لا أفهم..».

- عديني.

- أعدك.

وابتعد عنها قائلاً: «إلى أن أذهب».

فاقتربت منه وسألته: «إلى أين؟».

- لدي مكان يمكنني الإقامة فيه. فأنا لا أضمن أن أبقى متحكماً بنفسي إذا بقيت هنا.

هزت رأسها: «لكن إلى أين أنت ذاهب؟ ألا يمكنك أن تخبرني؟».

مدّ يده إلى مقبض الباب: «لا، ليس الآن. عليّ أن أذهب فقط».

وبقي ينظر إليها وهو يفتح الباب، فيما لسعه البرد في ظهره، تراجع خطوة إلى الخلف ثم عاد وتقدم منها ليعانقها مرة أخرى. تعلقت به لا تريده أن يذهب إذ شعرت وكأنه يودّعها... وهذا ما لا تطيقه. كانت مستعدة لأن يتحطم قلبها خلال النهار، ولكن ليس الآن، ليس في هذه اللحظة. تعانقا بانفعال بالغ، قبل أن يعود إيدن ويخلّص نفسه منها: «تذكري وعدك يا كيتلين رورك، لا تنسي».

- لن أنسى.

ثم رحل.

١٨ - لا، لم يهرب

لم يدهش إيدن حين وجد إيسلنغ في غرفة المراجعة والتدقيق، بينما اتسعت عيناها وهي تراه يفتح الباب ويدخل.

- ما الذي تفعلينه هنا؟

- أتأكد من أنك مازلت من دون حياة خارج هذا المنزل. ماذا لديّ سوى ذلك؟

قطبت جبينها حين جلس على كرسي بجانبها ثم أخذ ينظر إلى الشاشة أمامه. وقالت: «صحح لي معلوماتي إذا كنت مخطئة، لكن أليس لديك ما تفعله اليوم؟ إن هذا يريحك من إزعاجي لك لفترة».

ابتسم: «هذا أحد الأسباب التي جعلتني آتي إلى هنا».

ووضع أمامهما كوبين متابعاً: «حتى أنني حضرت القهوة».

ضاقت عينا إيسلنغ وهي تتناول فنجانها: «إذا حضّرت القهوة فهذا يعني أننا سنسهر الليل بطوله».

- أنت تعملين معي منذ مدة طويلة.

- نعم، وأستحق زيادة على الراتب الآن.

- عليك أن تطلبي ذلك خطياً.

- أنت لا تقرأ ما أكتبه يا إيدن. ماذا ستفعل إذن؟

وأخذت ترشف قهوتها، فيما نظر هو إلى الصورة على الشاشة التي تظهر فيها إيزي في متجر ما: «هل هذا ما تنظرين إليه يومياً؟».

- نعم. متابعة الأخبار أصابتني بالغثيان.

www.liilas-romancia.com

- هذا حسن. أين البقية؟

فاتسعت عيناها: «الكل؟».

فقال باسماً: «نعم. الكل».

- أتعرف كم هم بعيدون من هنا؟

- يمكنني أن أحسب ذلك إذا أعطيتني قلماً وورقة.

كان يتأرجح في كرسيه إلى الأمام والخلف فحدقت فيه متمنية أن يكف عن هذا الاهتزاز اللعين. كانت الكرسي تحدث قرقعة تثير أعصابها: «كنت أجمع الأفلام كما اتفقنا. لكن الصوت لم يصبح جاهزاً بعد».

- سنعيد العمل كله.

اختنقت بقهوتها فأخذت تسعل فترة قبل أن تستعيد توازنها: «آسفة. أظنك قلت إننا سنعيد العمل بأكمله».

- نعم.

وكف عن التأرجح ومال نحوها: «أنا بحاجة إلى مساعدتك».

- إيدن، سيستغرق العمل أسابيع ولن يكون لدينا المواد اللازمة قبل يوم الخميس. متى تريد أن يُنجز هذا كله؟

فابتسم ببطء: «يوم الزفاف».

فغرت فاها: «هل فقدت حبكة المسرحية!».

- أظنني وجدتها لتوّي.

وأمسك بيدها: «أنا حقاً بحاجة إلى مساعدتك».

- لماذا؟

- لأنها الطريقة الوحيدة التي وجدتها لإصلاح الأمر.

- إصلاح ماذا؟

ابتسم ببطء واعترف: «أنا أحب كيتلين رورك».

فضحكت: «حسناً، هذا خبر هام ينبغي إعلانه. وكأنني لم ألازم هذه

الغرفة وأطلع على كافة المعلومات منذ أسابيع. لست بحاجة حتى إلى إعلان ذلك، يكفي أن أرى التعبير الذي يبدو على وجهك عندما تنظر إليها».

استمر في الابتسام فاعتصرت يده، ورفعت حاجبيها: «هل لديك فكرة عما اضطررت لنشره لكي أخفي هذه الحقيقة عن الناس؟».

- لا أريد أن أخفي ذلك يا إيسلنغ. أريد أن يراها الجميع لا سيّما كيتلين.

- أحقاً؟

- نعم. لأنني عندما أخبرها عن دوري في هذا كله أخشى ألاّ تسامحني.

- اخرس. إنها تحبك كما تحبها.

فهز رأسه: «كلا، إذا كانت تحب أحداً فهي تحب الشخص الذي تظنني هو. وهذه ليست القصة كلها».

- أتظن أن جنونها سيجن حين تكتشف أنه كان يفترض بك أن تصعّب الأمور عليها وليس أن تسهّلها؟ سترى في ذلك نوعاً من الخيانة.

- تماماً.

أخذت إيسلنغ تفكر ملياً: «أتظن أنه سيكون، بعد كل ما ستعترف به لأسرتها، كالقشة التي قصمت ظهر البعير؟».

- نعم.

- يا إلهي! أنت محق في ظنك هذا.

غص إيدن بريقه: «لا يمكنني أن أخسرها بهذه السهولة. أريد المساعدة».

ارتسمت على وجهها ابتسامة تنبض بالحيوية: «يا إيدن. أنت بحاجة إلى شاهد إثبات!».

- ها أنت تفهمينني، أريد أن أثبت لها أن ما نشعر به حقيقي. أريدهم

جميعاً أن يروا ذلك، وقد يساعدني الحظ على الاحتفاظ بها من دون أن تخسر هي أسرتها وأصدقائها.

راح ذهن إيسلنغ يعمل بنشاط ويقوّم الاحتمالات كافة، فقالت: «ثمة الكثير مما يمكننا فعله. الأمر أشبه بمشاهدة فيلم غرامي».

فضحك: «هذا هو بالضبط. فيلم غرامي لكنه لا يتعلق فقط بما أشعر به أو ما أرجو أن تشعر هي به أيضاً بل عن كافة أنواع الحب. حب الأسرة. غياب الحب في بعض الأسر. حب الأصدقاء».

عادت تنظر إليه: «يمكننا أن نفعل هذا».

- ولكن ليس لدينا الكثير من الوقت.

- علينا إذن أن نباشر العمل. أعرف معظم الأفلام التي تحتوى على لقطات جيدة. سأحضرها لك لتراجعها، ثم نستدعي «ريك» في الصباح الباكر.

ما كان من إيدن إلاّ أن خلع سترته وثنى كمي قميصه إلى أعلى.

- عليك أن تتصلي بميل وتستدعي الموظفين. كما أن علينا أن نحضر الأفلام من كاميرات بيت كيتلين.

خرجت من الغرفة وهي تنظر إليه من فوق كتفها قائلة: «أما من سبيل لإحضار المزيد من القهوة اللعينة؟».

في الصباح التالي، بدا البيت خالياً. وراحت كيتلين تجول من غرفة إلى غرفة من دون هدف. كانت شجرة العيد بكامل زينتها ولكن أضواءها مطفأة. وكان الكومبيوتر المحمول موضوعاً على مائدة المطبخ. سرير غرفة إيدن لم يمس ما ذكّرها بالحياة التي ستعيشها بعد رحيله. جلست على حافة السرير ما يقارب النصف ساعة وهي تحدّق في سقف الغرفة، ثم أمضت عشرين دقيقة في البكاء تحت المياه المتدفقة في الحمام. حضرت الفطور ثم تركته يبرد بينما أخذت تحدق في غرفة الطعام حيث كان يجلس ويكتب. كادت تقع وهي تركض إليه لترفع السماعة:

«إيدن؟».

- لا. أنا إيزي.

غصت بريقها وحاولت أن تتحكم بمشاعرها: «مرحباً».

- هل أنت بخير؟

- بأحسن حال. وأنت؟

- لا بأس، عدا عن أني أشعر بالحقارة لأنني لا أقوم بواجبي نحو أعز صديقة لدي عند حاجتها إلي.

بقيت كيتلين صامتة تغالب دموعها.

- أما زلت معي؟

- نعم.

تنهدت إيزي: «مازلت أظن أن ثمة خطب ما، يا كيتلين. ولن أكذب عليك. لا أستطيع».

تملكها شعور بالذنب.

- ما قلته الليلة الماضية صحيح تماماً، فأنت تحبين إيدن وأنا أعرف هذا. على أيّ حال، مازلت أودّ أن أرافقك إلى الكنيسة غداً، إذا سمحت لي.

- طبعاً سأسمح لك أيتها الغبيّة. لا أستطيع أن أذهب من دونك. على أيّ حال...

- ماذا؟

وكان صوتها يرتعش كصوت كيتلين التي أجابت: «لقد فات الأوان ولا يمكنني العثور على وصيفة أخرى يناسبها ثوبك».

رن جرس بابها فخفق قلبها وأضافت: «علي أن أذهب، يا إيزي. لقد وصل إيدن».

- لا بأس. سأراك في ما بعد في منزل أبويك.

- إلى اللقاء إذن.

وسكتت لحظة قصيرة قبل أن تقول: «أحبك يا إيزي».

- أحبك يا حلوتي.

تلاشت ابتسامتها العريضة عندما فتحت الباب لتجد ميك وجو أمامها.

- لا يبدو عليك السرور لرؤيتنا.

- آسفة. ظننت أن شخصاً آخر في الباب.

فقال جو: «لم نر إيدن منذ الليلة الماضية».

وأخذ يفرك أضلعه عندما ضربه ميك فتابع يقول: «عندما تركنا كنا هنا معاً».

قطبت وسألت: «ألا تعرفان مكانه؟».

فهزا رأسيهما نفياً.

- ألا يمكنكما أن تتصلا بالفريق الآخر لتسألا عن مكانه؟

- لا. آسف كيتلين.

واحمرّ وجه ميك قليلاً من سؤالها.

- لا يسمح لنا بإبقاء هواتفنا مفتوحة أثناء التصوير. ونحن لن نرى «لو» أو «جون» حتى نعود إلى مكاتبنا الليلة.

أحنت رأسها بخيبة أمل. أين هو إذن؟

قال جو: «أنا واثق من أنه سيتصل بك قبل نهاية النهار».

- من الأفضل أن أنتظر.

وتنحّت جانباً لتدعهما يدخلان إلى المنزل. أين هو بحق الله؟

كان مستنزفاً عاطفياً. لقد أمضى أكثر من اثنتي عشرة ساعة في التفحص والتجزئة وضم الأجزاء ما جعله يشعر وكأنه يعيش هذا كله مرة أخرى منذ البداية.

وضعت إيسلنغ أمامه كوب قهوة بصمت، ثم شدت على كتفيه قبل أن تترك الغرفة، فيما بقي يتفحص الفيلم.

كان محقاً في تصوره أن كيتلين ستبدو محيّرة على الشاشة، فقد بدت مذهلة. كانت عيناها أشد سواداً وبشرتها متوهجة. بدت رائعة الجمال حتى في اللقطات عن قرب، ما جعله يتسمّر أمام صورها.

لقد فاته الكثير مما التقطته آلات التصوير.

اللقطة التي أظهرت تعارفهما لأول مرة جعلته يضحك. يا الله! بدا مخيفاً. ولم يعجب لأنها كرهته على الفور؟ ثم أصغى إلى أول أحاديثهما في الظلام عبر الردهة. التصوير الليلي جعل ما يحيط بهما يبدو أخضر اللون، كما تردد صدى صوتيهما في المكان. وسمع النبرة الفاترة في صوتها وهي تخبره عن ليام لأول مرة وتذكر شعوره حينذاك.

لقد توالت أحداث كثيرة منذ ذلك الوقت. هل ما مرّ بهما ثلاثة أشهر فقط؟

وأخذ يراقب ما لم يره حينذاك، عندما أمضى جو وميك يومهما الأول معها. كان قد استمع إلى الحديث الذي دار في السيارة عندما تكلمت عن مدى افتقادها ليام، وعن شعور الشخص عندما يفقد من يعني له الكثير. أراد أن يمد يده إلى الشاشة ليلمسها، ليجعلها تدرك أنه هنا من أجلها.

ومرّت صور تمثّل أول جدال بينهما حيث حاول أن يجعلها تتحدث إليه.

كانت كل ثانية مسجلة، حتى الحديث الذي ظن أنه لم يكن مسموعاً. وسرّه أنه من يجمع اللقطات وليس شخصاً لم يعش كل لحظة من هذا أو يشعر بما ترافق معها من مشاعر.

عادت إيسلنغ فيما هو مستغرق في الإصغاء إلى حديث كيتلين مع أمها وأختها بعد خروجه يوم الحجز لحفل الزفاف. إنه يفهم الآن لما بدت متكدرة إلى حد الهرب، لا سيّما بعد أن سمع أمها تقول لها إن ليام يبتسم لها الآن من فوق.

- عليك أن تتصل بكيتلين قبل أن تتصل بالشرطة لكي يبحثوا عنك.

www.elromancia.com

قطب وسأل: «كما الساعة الآن؟».

ونظر إلى ساعته فوجد أن الوقت تجاوز موعد الغداء. لا بد أنها ذهبت الآن إلى بيت والديها. أراد أن يراها قبل ذلك، لكي يطمئنها مرة أخرى، وقال: «تباً! لقد تأخرنا هنا».

ابتسمت إيسلنغ وقالت: «سنسوّي الأمر. ريك قادم لكي يطمئن إلى قضية الصوت. ألم تنهه بعد؟».

- أكاد أفعل تقريباً. سنحتاج إلى من يطمئننا أكثر، أليس كذلك؟

فتنهدت باستسلام: «ربما. لكنك بحاجة إلى النوم، وإلاّ ستبدو مريعاً يوم الزفاف».

- هذا صحيح.

- والآن اذهب واتصل بكيتلين ودعها تعلم أنك لم تهرب منها.

ابتسم لكلماتها هذه. الهرب من كيتلين هو آخر ما يرغب في أن يفعله، وأبعد ما يكون عما يريده، هو الذي يحاول جهده الحفاظ عليها.

١٩ - فأل شؤم

كانت كيتلين تسير كالشبح متوعدة بأن تقتله حين تراه.

لم تنم إلا قليلاً، وهذا ما ندمت عليه حين نظرت في المرآة صباح يوم الزفاف. حدّقت في وجهها وتأوهت إذ بدا شكلها مأساوياً. لم تكن تبدو كما ينبغي أن تبدو العروس.

وتمنت مخلصة لو أن المساحيق التي لديها والأدوية المنشطة والكريمات المزيلة للغضون تنفعها.

يُفترض بهذه الليلة أن تكون هادئة ومريحة، ليلة مع أسرتها وأصدقائها المقربين. كان يُفترض بهذه الليلة أن تقوي عزيمتها في هذه المرحلة، لكن الزيارة غير المتوقعة التي قام بها مقيّم الأملاك ليرى المنزل أصابتها بذعر بالغ.

وبالغت أمها في الاعتذار والتبرير بأنها كانت مشغولة طيلة الأسبوع، وأنّ هذا هو الوقت الوحيد المتاح كي يزورهم. وبالكاد استطاعت كيتلين أن تبقى مهذبة معها، حتى أنها كادت تفشي السر عندما حاولت أن تقنع أمها بأنهم ليسوا بحاجة لأن يبيعوا المنزل.

شعرت طيلة الوقت أنها تريد إيدن، وكرهته لعدم وجوده معها. فاتصاله الذي لم يتعدَ خمس دقائق في منتصف النهار لم يخفف من الخوف الذي تملكها مع تقدم النهار.

حينذاك قال لها (أنا مازلت هنا)! ولكن هل هذا صحيح؟ لم يكن لديها أي فكرة عما يجري. وقد قادها هذا كله إلى ليلة حافلة بأحلام

www.elromancia.com

عن عرس مخيف لم تكف فيه العروس عن البكاء لأنها لم تجد العريس بانتظارها مع الكاهن أمام المذبح.

وأثناء الفطور اعتقد الجميع أن توترها ناجم عن الاستعدادات للزفاف، ولم يكونوا مخطئين تماماً في ظنهم هذا.

انقلبت معدتها وسألت: «هل من مسكّن في هذا الشراب؟».

فضحكت إيزي: «لا. أتريدينني أن أحضر لك حبة مسكن؟».

نعم هذا ما تريده، لكنها قالت: «لا».

أرادت أن تحافظ على انتباهها: «هل اتصل إيدن؟».

تأملتها إيزي للحظات، بدت وكأنها تريد أن تطرح عليها سؤالاً، لكنها عادت فهزت رأسها باسمة: «لا، هل تخشين ألاّ يحضر؟».

كانت كيتلين تعلم أن إيزي تمازحها لكي ترفع معنوياتها، لكن كلامها هذا ذكرها بحلم الليلة الفائتة الذي أبقاها مستيقظة طوال الليل، فقالت: «إياك أن تمزحي بهذا الشأن».

تقدمت إيزي منها تضمها إليها: «سيأتي. أراهن بحياتي على ذلك. والآن، ارسمي ابتسامة على هذا الوجه، واشربي الشراب الساخن. ستتوجّه إلى الفندق بعد عشر دقائق».

أبهذه السرعة؟ وخفق قلبها وتراجعت بعيداً من إيزي وهي تقول: «أظنني على وشك أن أتقيأ».

وضعت إيزي يديها على كتفيها: «لا، لن تتقيأي. ستكونين على ما يرام... بعد ساعتين ستقولين (أقبل) وستلي ذلك البهجة».

ألقت كيتلين نظرة من عينيها المعذبتين إلى عدسة ميك خلف إيزي وابتسمت بضعف. ساعتان، ساعتان وتقول (قبلت) لتلي ذلك البهجة!

* * *

- هل انتهينا؟

نظرت إيسلنغ في عيني إيدن وابتسمت: «نحن بحالة تسمح لك

بالذهاب، أيها الرئيس».

- هل أنت واثقة؟

ضحكت للتعبير الذي بدا على ملامحه. كان إيدن، عادة، صاحب الأعصاب الفولاذية مهما بلغت حدة الضغط. ما من شيء يقلقه. وقوعه هذا في الحب أمر غريب حقاً. مدّت يدها تربّت على خده: «تماماً».

فقال بابتسامة خفيفة: «ها أنت تدللينني فيما تعلمين أنّ هذا يوتّر أعصابي».

تراجعت إلى الخلف وأخذت تتأمله من رأسه حتى أخمص قدميه. كانت ملامحها جادة وهي تقول: «حسناً، عليّ أن أقولها. لا بأس بك بالنسبة إلى شخص لم ينم سوى خمس ساعات في الثماني وأربعين ساعة الماضية».

فقال وهو يشدّ ربطة عنقه: «بل ست وأربعين. ولكن من يحصي ساعات عملي؟».

لوّحت بيدها: «من يحتاج للنوم على أيّ حال؟ إنه مجرد مضيعة للوقت».

وعادت تبتسم له قبل أن تردف: «قمت بعمل محيّر حقاً يا إيدن. إنه ناجح».

وكان هو يرجو ذلك. لا بد أنه كذلك. وفتح فمه ليتكلم فإذا به يرى إيزي تسير نحو السلم: «عفواً، دقيقة واحدة».

واستدار نحو إيزي منادياً: «إيزي».

توقفت الفتاة والتفتت إلى الخلف ثم عقدت حاجبيها واقتربت منه: «إذن فقد قررت المجيء؟ أظن أنّ علينا أن نكون شاكرين».

ارتفع حاجباه للحدة في صوتها: «هل ظننت أنني لن آتِ؟».

ازدادت اقتراباً منه وضربته على صدره: «لو ظننت ذلك للحظة لكنت ميتاً الآن. ولكن العروس في الطابق الأعلى تتقيأ في الحمام منذ عشرين

دقيقة . أين كنت بحق الله؟».

نظر إلى السلم محاولاً أن يلمح كيتلين. كان يعلم أن التوتر سيتملكها... ولكن أن تمرض؟ تقدم إلى الأمام يريد أن يطمئن إلى أنها بخير، لكن إيزي أمسكت به تجره إلى الخلف: «كلا. لن تفعل هذا. لا يمكنك أن تراها قبل الزفاف».

- قلت إنها مريضة.

- إنها متوترة وتخشى أن تتقيأ أمام كل هؤلاء الناس. كان بإمكانك أن تتصل بها هاتفياً، فهذا لا يعتبر تصرفاً لائقاً.

في الواقع، نام من دون حراك، وهذا ليس مستغرباً نظراً لموعد خلوده إلى النوم ولمقدار الوقت الذي أمضاه في العمل من دون نوم. ولكن عندما استيقظ متأخراً نصف ساعة عن الوقت الذي حدده راح يركض في الأنحاء كالمخبول ليصل في الوقت المناسب ليتأكد من أن كل شيء في مكانه.

ولو تأخر دقيقة واحدة، لأخذ يتقيأ هو أيضاً.

- أريد أن أتحدث إليها خمس دقائق فقط.

وأخذ يقفز على السلم صاعداً كل درجتين بقفزة واحدة.

تبعته إيزي ركضاً وهي تصيح به بحدة: «إيدن، عد إلى هنا!».

انفتح باب يبعد عنه خطوات وأطل رأس كارا التي اتسعت عيناها: «ما الذي تفعله؟».

- هل كيتلين هنا؟

لم يكن بحاجة إلى جواب بعد أن أطلّت كيتلين برأسها من خلف الباب الموارب:

- هل هذا إيدن؟

- نعم أنا هنا.

- هذا حسن. كنت قد بدأت أتساءل.

ابتسم وحاول أن يتجاوز كارا ليصل إليها، لكن أختها بذلت جهدها لمنعه ووقفت كالجدار: «كلا، لن تدخل».

أخفض صوته: «كارا، أرجوك، لا تجعليني أبعدك من طريقي».

رفعت كارا حاجبها بشكل ذكّره بكيتلين. إنهما متشابهتان حقاً: «يمكنك أن تجرّب».

لكنه، وبدلاً من ذلك، جرّب الظرف فابتسم قائلا: «أريد أن أمضي بضع دقائق فقط معها. أرجوك».

فهزت رأسها: «لا يمكن وإلا سيغمى على أمي فهذا يجلب سوء الحظ».

- أظن أننا نصنع حظوظنا بأنفسنا.

قالت إيزي وهي تقف بجانب كارا: «حاولت أن أمنعه».

حركتها هذه فتحت الباب فرأى إيدن على الفور الوجه الشاحب في الغرفة: «مرحباً..».

بادلته كيتلين الابتسام بضعف: «مرحباً...».

- قالت إيزي إنك مريضة.

- أظنه مجرد توتر أعصاب، وهذا طبيعي باعتبار...

فتمتمت كارا بصوت خافت: «باعتبار أنك انزعجت من خطيبك الذي اختفى لأربع وعشرين ساعة قبل زفافكما».

وقالت إيزي وهي تشبك ذراعيها على صدرها: «كان بإمكانك أن تتصل بها هذا الصباح بدلاً من أن تحمل معك كل هذا الفأل السيء إلى هنا».

قطب إيدن، لكن نظراته كانت مركزة على كيتلين: «لم أستيقظ في الوقت المناسب هذا الصباح».

فقالت إيزي ثائرة: «لم تستيقظ؟ في يوم زفافك؟».

نظر إلى عينيها لحظة وردّ: «كان لدي عمل أنجزه! عمل بالغ

الأهمية، ولم أنم كثيراً».

فقالت كارا: «عمل أكثر أهمية من زفافك؟ من كيتلين؟ عسى ألاّ يكون هذا دلالة على ما هو آتٍ. هل لديك فكرة عن التوتر الذي عانته؟».

فتح فمه لكن كيتلين تقدمت نحو الباب: «هل كنت مشغولاً بكتابك؟ هل وجدت من يطلع عليه؟».

تلاقت أعينهما فتابع مقطباً وهو يحاول أن يجد جواباً على سؤالها: «ستظهر على شاشة التلفزيون».

لمعت عيناها: «هذا رائع، لقد أخبرتك بهذا».

بادلها الإبتسام، لكن كلماتها الرقيقة ينقصها شيء ما، وكأن جزءاً منها كان يموت.

- نعم، فعلت. عليك أن تعلمي أن ثمة سبب هام.. هام إلى حد جعلني أتأخر لا سيّما الآن».

كانت كلماته تتوسل إليها أن تتفهم، أن تؤمن به ولو لمدة أطول قليلاً.

ابتسمت لعينيه القلقتين: «أعلم هذا، وأنا بأحسن حال. أردت فقط أن أراك».

تدخلت إيزي لتقول: «حسناً، لقد رأيته الآن، تمني فقط ألاّ تعلم أمك أنكما..».

- إيدن!

كان هذا الصوت آتياً من الردهة وتابع يقول: «إياك أن تنظر إلى كيتلين فهذا فأل سيء!».

تحوّلت الأعين كلها لتنظر إلى ماغي رورك وهي تقترب بسرعة. شدّت إيزي كارا بعنف مرافقتها، لتعودا إلى الداخل وتردا الباب خلفهما: «لا يمكنه أن يراها. كانا يتحدثان من خلف الباب فقط».

أومأ إيدن موافقاً فتقدمت منهم عابسة: «حسناً، يمكنك أن تذهب الآن ولا نريد حظا سيئاً لهذا الزواج».

تراجع إيدن باسماً بينما أقفل الباب في وجهه وهو يقول: «أنا ذاهب. أردت فقط أن أتحدث إليها».

- سيكون لديكما وقت طويل للحديث بعد الزواج.

وكان هو يرجو ذلك من كل قلبه.

www.elromancia.com

٢٠ - المهلة الأخيرة

خطر لإيدن، وهو يقف في آخر الممر في الكنيسة ينتظر عروسه، أن مراسم الزفاف لا تختلف كثيراً عن أي إنتاج مسرحي، فثمة ممثلون ومتفرجون وعدسات تصوير. لكنه لم يُخرج قط من قبل عملاً له مثل هذا التأثير في حياته.

كانت راحتاه تتعرقان فيمسحهما في سرواله فيما قلبه يخفق في صدره بعنف.

وتعالى صوت الموسيقى فالتفت ليرى كيتلين تسير نحوه ببطء.

في الغرفة المليئة بالناس، بدا بحر الوجوه وكأنه يختفي تدريجياً من حوله، فلم يعد يرى سواها. هل هذا ما يحصل لو كان الزفاف حقيقياً؟ لكن لو كان حقيقاً لبدت العروس متألقة، وليس وكأنها تساق إلى حكم الإعدام.

حتى خطواتها بدت رسمية متكلفة، وجسدها متوتراً. جالت عيناها من حولها لترى الناس على جانبي الممر فغصت بريقها. حوّلت عينيها إليه أخيراً، ورأى العذاب فيهما، فتمزق قلبه.

بِمَ كان يفكر حين خطّط لهذا كله؟ ومن هو ليعبث بمشاعر الناس؟ لا شك أنه سينال القصاص العادل الذي يستحق لو هربت منه من دون أن تنظر خلفها.

وفيما كانت كيتلين ترغم نفسها على التقدّم إلى الأمام خطوة خطوة كانت يدها التي تحمل فيها باقة الأزهار ترتجف، وأنفاسها تتقطع، بينما

قلبها يخفق بعنف. إذن، بعد دقائق سيقول نعم أريدها بعد أن تقول هي العبارة نفسها. بعدئذ، ستواجه هؤلاء الناس وتخبرهم بأن هذا كله ما هو إلا كذبة كبيرة.

نظرت من حولها إليهم جميعاً، لتحفظ في ذاكرتها التعبير البادي على وجوههم وهم ينظرون إليها، هي العروس التي تسير نحو الرجل الذي يُفترض أنها تحبه. وعادت فحولت عينيها إلى إيدن فالتوى قلبها بألم لم تستطع معه أن تتنفس.

الرجل الذي تحب. هذا الجزء من الحكاية، لم يكن كذباً. وعندما ابتسم لها ببطء، تمنت لو أن بقية الحكاية لم تكن كذباً، وأنها متجهة فعلاً إليه لكي تتعهد بأن تعيش بقية عمرها بجانبه. ما أسوأ ما عرّضت نفسها له من مشاكل! كيف بلغت بها السذاجة حد التفكير في أن عملاً كهذا يمكن أن يصلح الأمور لا أن يزيدها تعقيداً؟

إن نسجها شبكة من الأكاذيب حول الناس الذين هم أكثر ما تحب في الحياة، عرّضها لعقاب تستحقه وهو التسبب بفضيحة أكبر مما ظنت.

لكن هي، من بين كل الناس، عليها أن تعلم أن الحياة غير منصفة.

تقدّم الموظف المعني بتسجيل عقود الزواج ينطق بالكلمات التي يتوقع سماعها كل شخص. عندئذ، أمسك الأب يد ابنته ووضعها في يد إيدن ثم تراجع إلى مكانه بجانب أمها.

التقت عيناها عيني إيدن ثم التفتت إلى أسرتها خلفها. نظرت إلى كل وجه فرأتهم يبتسمون لها، فيما أمها تمسح دموعها بمنديلها. هل سيتفهمون الأمر؟ هل سيصفحون عنها؟

جملتان وينتهي الأمر: نعم أريدها ونعم أريده...

أحست بأصابعها تعتصر فخفضت بصرها مقطّبة قليلاً لما أحست به من برودة في أصابعه. نظرت إليه فحوّل عينيه بعيداً وقد تشنّج فكه... فسرت البرودة في ظهرها.

ترك يدها حين راح الرجل الذي يقف أمامهما ينطق بكلماته، فشعرت بالمسافة التي تفصل بينهما وكأنها هوّة عميقة.

- هل تريدينه يا كيتلين...؟

حاولت أن تركز على الكلمات، وأن تنطق بالكلمات المعتادة المعّينة في الوقت الملائم. ونظر الرجل إليها مستفهماً فابتلعت ريقها لترطّيب حلقها الجاف ثم قالت بصوت فاتر: «نعم. أريده».

لقد قامت بدورها.

تحوّلت عيناها إلى إيدن فيما الكلمات تُكرّر له. لم يلتفت إليها بل قطّب ورفع بصره إلى أعلى، ثم نظر إليها أخيراً بعد أن أنهى الرجل كلامه.

وعندما لم يقل شيئاً، ساد صمت مطبق.

حدقت كيتلين فيه. أرادته أن ينطق بجملة (نعم أريدها) لتنتهي هذه المهزلة لكنه تابع التحديق فيها بعينين غاب عنهما الآن عمق زرقتهما المعتادة. رفعت حاجبيها مستفهمة لكنه بقي صامتاً.

همست عندما تحوّل إلى بحر الوجوه: «ما الذي تفعله؟».

تنفس بعمق ثم مال نحوها يبادلها الهمس: «تذكري وعدك يا كيتلين رورك».

ما الذي يفعله؟ عليه أن يقول(نعم أريدها) كي ينهي بذلك العقد لكنه لم يفعل.

- إيدن؟

هز إيدن رأسه ثم نظر إليها بطرف عينه قائلاً: «آسف».

بعدئذ نظر إلى الأمام وتقدم خطوة نحو الغرفة المزدحمة... ثم تنحنح: «أيها الناس يؤسفني أن أقول إنّ هذا الزفاف لن يتم اليوم».

سرت همهمة بين الحضور فيما هبّ والد كيتلين واقفاً.

رفع إيدن يده منادياً: «أرجو أن تسمعوا ما أقول..».

تقدمت كيتلين منه وأمسكت بكمه: «ما الذي تفعله؟ أنت لم تقل: (نعم، أريدها) ويُفترض بك أن تقولها أولاً».

نظر في عينيها مرة أخرى: «حسناً يا كيتلين، لم أكن أنوي أن أقولها أبداً».

اتسعت عيناها دهشة. إذا لم يكن ينوي أن ينهي هذا الأمر؟ ألا يعني هذا عدم حصولهما على أجرهما في النهاية؟ ولماذا؟ لماذا إذن فعل هذا كله إذا لم يكن ينوي أن يصل إلى النتيجة المنطقية؟ كيف جعلها تستمر في هذه المسرحية وراح يسندها طيلة الوقت إذا لم يكن ينوي السماح لها بأن تنهي ما بدأته؟ لم يكن هذا مفهوماً.

تحوّلت عيناها إلى أسرتها وإلى وجه أبيها وأدركت أنها فشلت. سيفقد أبوها عمله الذي أسسه بنفسه، سيفقدون هم البيت الذي نشأوا فيه. وتحطم قلبها.

تركت كم إيدن وابتعدت عنه بعد أن اغرورقت عيناها بالدموع. رفعت بصرها إليه... إلى وجه الرجل الذي ظنّت أنها تعرفه جيداً، الرجل الذي وثقت به. فشعرت وكأنها تنظر إلى رجل غريب.

وعاد هو ينظر إلى أسرتها: «قبل ثلاثة أشهر لم نكن أنا وكيتلين نعرف بعضنا».

قطّب الأب وسأل بحيرة: «لماذا، إذن، هذا كله؟».

- إنه عرض تلفزيوني اسمه «الخطيب الزائف».

- إنه ماذا؟

وقفت أمها وأخواها، بينما تقدم الأب من إيدن مستفهماً بعصبية: «هل هذا كله نوع من المزاح؟».

- كلا، يا سيدي. هذا ليس مزاحاً. لقد وافقت كيتلين على المشاركة في هذا العرض، على أن تخدعكم جميعاً فتعتقدون بأن هذا زواج حقيقي.

وسكت قليلاً ثم أضاف الإهانة الأخيرة: «من أجل المال».

جمدت كيتلين عندما شهقت أمها وراحت تنظر إليها وفي عينيها خيبة الأمل ثم نظرت إلى وجه أبيها فرأت الفهم والإدراك يرتسمان على وجهه ليليهما الغضب. فأخذت ترتجف بشكل لا إرادي.

- اعتقدت أن هذا هو سبب قيامنا بهذا العمل... وأنني أخدع أصدقائي كما تفعل هي... من أجل المال.

والتفت إليها مضيفاً: «لكن هذا ليس صحيحاً».

سالت دموعها على خديها الشاحبين وهي تنظر إليه: «ماذا؟».

توتر فكه قيلاً: «كان يُفترض بي أن أصعّب الأمور عليك. كانت مهمتي أن أصعّد الخلاف فأصرّ مثلاً على إقامة زفاف باذخ، فيما هذا آخر ما تريدينه. كانت هذه هي الخطة منذ البداية».

هزت كيتلين رأسها ببطء وقد فهمت الآن ما أقدم عليه من تصرف لم تفهمه في حينه. لكنها مازالت مشوّشة الذهن. فإذا كان دوره أن يصعّب عليها الأمور، لماذا أظهر مساندته لها؟ لولا وجوده معها لتركت العمل منذ وقت طويل. هل هذا سبب مساندته لها؟ لكي يبقيها في العرض؟ أما من حدّ لخيانته؟ فهذا ما هو عليه الأمر، خيانة. خيانة ثقتها به، والمشاعر التي حملتها له في أعماقها. منذ أسابيع والخوف يتملّكها لأنها ستفقده قريباً فيما هو لم يكن يشعر حتى بوجودها.

- لماذا؟

خرج هذا السؤال من بين شفتيها بالرغم منها. أي نوع من الرجال هو ليفعل هذا بها؟

قال وهو يلوّح بيده نحو ميك وجو اللذين دخلا حاملين آلة التصوير: «هذا هو عرضي التلفزيوني وهذان هم المصوران. أنا مخرج هذا العرض يا كيتلين».

عندما أخذت تحدّق فيه، ساد الصمت المطبق في المكان، وحتى

الدموع توقفت عن الانهمار أما شعور الحب الساحق الذي حملته له فقد تحوّل إلى كراهية على الفور.

تحوّلت عنه ونظرت إلى أسرتها. لعلها خسرت لتوّها الرجل الذي تحب، لكن عليها أن تنقذ ما يمكن إنقاذه. وارتجف صوتها حين تقدّمت من أبيها قائلة: «حاولت الحصول على المال بأي طريقة».

توهج وجه الأب وهو يحاول التحكم في مشاعره: «بالكذب علينا؟ أتظنين أن الأمر يستحق كل هذا؟».

نظرت إليه وهو يلوّح بيده إلى الحضور: «هؤلاء كلهم جاؤوا إلى هنا من أجلك، لأنهم يحبونك فيما أنت تسخرين منهم خفية».

انهمرت دموعها مرة أخرى وهي تقول بصوت مخنوق: «لم يكن الأمر بهذا الشكل. لقد كرهت الكذب عليكم طوال الوقت. كنت أتألم يومياً. ولكن كان علي أن أحاول يا أبي، أن أحاول الحصول على المال».

- بهذا الشكل؟

وهز رأسه، ثم أحاط كتفي أمها بذراعه، وعيناه على الدموع الصامتة التي انهمرت على خديها، وعاد ينظر إلى ابنته قائلاً: «ما من شيء يستحق هذا يا كيتلين. قد نفقد كل ما نملك ولكننا نبقى دوماً لبعضنا البعض. لم أكن أظنك قادرة على هذا القدر من الخداع. الأسرة تستحق أكثر بكثير ما لديها في حسابها المصرفي. وأنت الآن دمّرت كل الثقة التي كانت لنا فيك».

انطلقت شهقة من حلق كيتلين عندما رأته يستدير مبتعداً عنها، جاراً معه أمها، سائراً في الممّر الذي سبق وسارت فيه عند حضورها. بعدئذ، التفتت لترى وصيفتي العروس تمران بها خارجتين وقد قطبت إيزي حاجبيها وراحت تهزّ رأسها. لكن كارا وقفت أمامها لحظة قائلة والدموع تغسل خديها: «كنت أعرف أن ثمة خطب ما. لقد أفسدت

حياتنا. كيف أمكنك أن تفعلي هذا بنا؟».

وابتعدتا لتلحقا بأبويها.

لم تدرك كيتلين أن إيسلنغ سدّت طريقهما، لأنها التفتت إلى إيدن الذي كان هو ايضاً ينظر إليهم وهم يخرجون وقد بدا الذعر على وجهه لكن عندما تقدمت منه كيتلين، التفت إليها.

صفعته بقوة على وجهه وهي تقول: «لست بحاجة لأن أخبرك بما فعلته بي، لأنك كنت تعلم النتيجة من قبل، أليس كذلك؟».

حدّقت فيه لحظة طويلة، ثم سارت في الممر لاحقة بالآخرين.

أما ما عليها أن تقول لهم حين تصل إليهم، فهذا ما لا تعرفه. ولكن عليها أن تحاول.

- كيتلين.. انتظري!

تجاهلت نداءه، ورفعت ثوبها الطويل لتسرع في سيرها.

- أوقفوهم!

وسار نحوها بخطوات واسعة: «أريدكم جميعاً لدقيقة واحدة، رجاء».

التفت بريندان من حيث كان وراح يجادل إيسلنغ قائلاً: «ولماذا علينا أن نصغي إلى أي شيء آخر تقوله؟».

وقف إيدن ثم رفع رأسه، وقال بحزم: «إذا كنت تحب ابنتك ولو نصف مقدرا ما أعتقد أنك تحبها، لفهمت لماذ فعلت ذلك».

ونظر إلى كيتلين التي وقفت جامدة في منتصف الممر.

ثم تابع: «وكم كلّفها هذا في كل يوم».

وفيما أخذ بريندان يفكر في قوله هذا عاد إيدن يقول: «أظنك تعرف لما فعلت ابنتك هذا يا سيد رورك، حتى لو لم تعرف كيف استطاعت أن تفعله. كل ما أطلبه منك هو دقائق قليلة لترى فيها ما رأيناه».

نظر الرجل إلى وجوه أفراد أسرته، ثم إلى عيني كيتلين المعذبتين،

فشبك ذراعيه على صدره قبل أن يقول: «لديك خمس دقائق، أتوقع بعدها ألاّ أسمع اسمك مجدداً».

www.elromancia.com

٢١ - وهل هناك سواه؟

أومأ إيدن، ثم استدار وعاد فصعد الدرجات ليواجه الحشد مرة أخرى: «في بداية عملنا على هذا العرض التلفزيوني، كان لدينا فكرة راسخة عما نحن بصدده».

بقيت كيتلين مولية ظهرها له عندما دوّى صوته في أنحاء القاعة الصامتة.

- نحن نعيش في مجتمع يتسابق أفراده نحو النجاح، لكن النجاح الآن أصبح يقاس بحجم حساب المرء في المصرف، أكثر منه بالقيم القديمة كتكوين الأسرة، والصداقة الجيدة. وهكذا أردنا أن نرى إلى أيّ حد يمكن للإنسان أن يصل لكي يحصل على ما يريد؟ هل يمكن أن يكذبوا على الناس الذين يحبونهم لكي يصبحوا أكثر ثراء؟ ومدى المقاومة التي يظهرونها إذا كان هناك من يصعّب الرحلة عليهم؟ يفترض أن يكون هذا كله من أجل المال.

أغمضت كيتلين عينيها. يا إلهي! هل ظن الكل أنها من هذا النوع من البشر؟

التقط إيدن أنفاسه وهو يحل ربطة عنقه ويفتح زر قميصه ثم تابع: «ولكن هذا ليس ما حصلنا عليه. نعم، هذا ليس ما حصلنا عليه. هذا ليس ما رأيته... ما رأيته كل يوم من كيتلين لم يغيّر العرض وحسب بل غيّرني أنا أيضاً».

فاتسعت عيناها.

- ما حصلنا عليه جعل كافة المقدمات المنطقية التي بدأنا بها كذبة كبيرة فهي لم تكن امرأة جشعة تريد أن تستغل أسرتها وأصدقاءها للحصول على مبلغ ضخم من المال.

ونظر إلى ظهرها يخاطبها: «والذي لا يزال من حقها، رغم أنني لم أقل ما كان يُفترض بي أن أقوله».

لكنها لم تعد تهتم بذلك المال اللعين، ولن تتمكن الآن من إقناع والدها بقبوله. بالتالي، ذهبت جهودها كلها سدى، وكانت مجرد مضيعة للوقت. لكنها أصغت بصمت بينما أردف: «أظننا اخترنا الأسرة الخطأ لكي نجعل المشاهد يرى أنّ المبادئ اختفت في أيامنا. هذا الفيلم الذي صورناه خلال الشهر القليلة الماضية لم يكن يتحدث عن غياب المبادئ بل عن حقيقة وجودها، وبقوة. وعندما يرى الناس ما رأيناه، سيدركون أن حصولهم على أسرة متضامنة كأسرة رورك ما زال ممكناً، ومهماً».

وأخيراً نظر بريندان إلى كيتلين فبدت نظرة رقيقة في عينيه. وبادلت هي أباها النظر من خلال دموعها.

قال إيدن باسماً: «لم تفعل كيتلين هذا من أجل نفسها. لقد أخبرني رجل حكيم مؤخراً، أن الحب يجعل الإنسان يعطي قبل أن يفكر في نفسه، وهذا ما فعلته كيتلين. لقد حاولت أن تعيد شيئاً إلى الناس الذين أحبوها».

شعر إيدن بأنه يختنق، فنظر إلى إيسلنغ التي ابتسمت له مشجعة. وهكذا، عاد يتنحنح مرة أخرى مردفاً: «الفيلم هو الآن عن الحب... الحب بكافة أشكاله. حب الأسرة، حب الأصدقاء، ومدى استعداد الإنسان للكفاح من أجل من يحبه».

ابتسم بريندان لابنته وعيناه تلمعان ثم أومأ برأسه بشكل يكاد لا يُرى، فشهقت كيتلين حين أدركت أنه فهم.

- عندما قررت أن ألعب دور الخطيب في هذا الفيلم، بدلاً من أن أستأجر ممثلاً آخر، فعلت هذا لأنني ظننت أنني سأتمكن من تحريك الأمور بالطريقة التي ظننتها صواباً. أظنني كنت سخيفاً حينذاك لكن الحقيقة هي أنني حالما عرفت كيتلين خرجت الأمور من يدي.

طرفت كيتلين بعينيها ثم استدارت إليه تدريجياً بينما تابع قائلاً: «أنا لم أكذب إلاّ في ما يتعلق باشتراكي في الفيلم ومهنتي التي أعيش منها».

أخيراً استطاع أن ينظر في عينيها، لكن الكلام لم يسعفه للحظة.

فقالت إيزي: «وهل يصلح هذا ما فعلته؟».

كانت هذه كلمات لم تستطع كيتلين أن تنطق بها. وهز رأسه قبل أن يجيب: «إنه لا يصلح ما أفسدته لكن كان عليّ أن أنهي ما بدأته وإلا فلن تحصل كيتلين على النقود».

- يا لك من بطل!

- لا تقلقي يا إيزي، فأنا أدفع الثمن. فأثناء العمل أصبحت أنا موضوع المقلب.

وعندما عاد ينظر إلى كيتلين، حدقت هي فيه.

- الحقيقة هي أنني وقعت في الغرام، ولم يكن يُفترض أن يحدث هذا.

وتحوّلت الأعين كلها من إيدن إلى كيتلين التي جمدت مكانها وهي تشعر بالأنظار تنصب عليها. حدقت في عيني إيدن العميقتي الزرقة وهزت رأسها قائلة: «محاولة حسنة».

أخذ إيدن يتأملها وهي تبتعد عنه لتعانق أباها ثم الأسرة بأكملها قبل أن تتجه إلى باب الخروج في آخر الغرفة.

ورفع صوته قائلاً: «يبدو أن ما من طريقة تشرح لكل واحد هنا ما حدث في تلك الأشهر الأخيرة. لذا، أفضّل أن أعرض عليكم الفيلم».

تراجعت إيسلنغ خطوة ثم أطفأت الأنوار، وفي آخر الغرفة رفع أحد

العمال الغطاء عن شاشة كبيرة.

وظهر اسم الفيلم في الظلام، تبعه صوت عميق: (هل مازال هناك حب في العالم؟ كلنا نرجو ذلك، فهو الشيء الوحيد الذي يربطنا ببعضنا البعض، القوة غير المرئية التي تجعل الناس يقومون بأفعال لم يكونوا يعلمون أنهم قادرون عليها. ومهما استطعنا أن نخدع أنفسنا ونقنعها بأننا نستطيع العيش من دونه، تبقى الحقيقة أن أحداً لا يستطيع ذلك..).

استدارت الأم أولاً، ثم كارا حتى أصبح كل من يهمهم أمر كيتلين واقفين يشاهدون الفيلم.

(يمكن لكيتلين رورك أن تكون أي فتاة منا. فتاة لديها أسرة وأصدقاء، مهنة بذلت جهدها للنجاح فيها. وقد أحبت وخسرت حبها في طريق الحياة...)

أخذت إيزي تنظر إلى صور كيتلين تظهر على الشاشة، ثم التفتت إليها في الظلام وهمست: «أنظري، يا حلوتي».

هزت كيتلين رأسها، بينما تابع الصوت كلامه: (لكنها قامت بأكبر مغامرة في حياتها لتمنح شيئاً لشخص تحبه في أسرتها. ولكي تفعل ذلك، اضطرت لأن تنطق بأكبر كذبة في حياتها ولأن تخدع الجميع).

سمعت صدى صوت إيدن الخافت يتردد في أنحاء الغرفة: (كيف نجعلهم يصدقون أننا نحب بعضنا البعض يا كيتلين رورك؟)

(كان عليها أن تقنع الكل بأنها ستتزوج بينما الحقيقة خلاف ذلك، وكان خطيبها الزائف إيدن فلين الذي سعى إلى إثبات أن الناس يمكنهم أن يقوموا بأي شيء من اجل المال. لكنه، وبدلاً من ذلك، وجد أن الناس يمكنهم أن يفعلوا أي شيء من أجل الحب...).

وتلاشى الصوت ليحل مكانه عزف ناي حزين، رافقه كمان وقيثاره.

وأخيراً، استدارت كيتلين لترى الأشخاص على الشاشة.

رأت وجهها وهي تسأله: «أتراك تغازلني يا إيدن فلين؟».

- وهل هذا ينجح؟

رأت نفسها تهمس: «كلا».

ومرت صورة لهما وهما يتحدثان ويبتسمان ويتجادلان. وظهر عناقهما الأول في الحديقة فيما الموسيقى لا تزال تتعالى بحنان في خلفية المشاهد. استمر عزف الناي بأسى بينما قصة حب تدور على الشاشة.

وتعلى صوت والدة كيتلين: «أنا مسرورة للغاية لأنك وجدته... هذا ما كنت دوماً أتمناه لك».

صور أخرى أظهرت كيتلين وهي تبكي عندما ابتدأت خيوط الشبكة تلتف حولها. وكان العذاب بادياً على وجهها.

وتناهى إليها صوت إيدن يهمس: «... لن تجدي صعوبة في أن تقنعي الكل بأنني مجنون بك يا كيتلين رورك، فأنا فعلاً كذلك».

شعرت كيتلين بالدموع تنهمر من عينيها ببطء، فيما المتفرجون يشاهدون ما كانوا يعانون على الشاشة.

ورأت نفسها مع مايك في الحديقة وسمعت صوته يعلو على صوت الموسيقى وهو يقول: «لم ينظر قط إلى أي منهن بالطريقة التي ينظر بها إليك».

- وبأي طريقة ينظر إلي؟

- وكأنك أهم ما في حياته. هبة ثمينة عليه أن يهتم بها. ما من شيء زائف في عواطفه نحوك. لا أظن أنّ أحداً يعتقد ذلك.

حوّلت كيتلين نظراتها عن الشاشة إلى إيدن الذي وقف ووجهه في الظل، بعيداً عن الشاشة.

ارتفعت الموسيقى حين ارتفع صوته مرة أخرى: «هل أنت نادمة على هذا يا كيتلين رورك؟».

- أنا لست نادمة على التعرف إليك. ولن أنسى هذا أبداً.

- كما أنني لن أنساك أبداً. عليك أن تعلمي هذا.

- أعرف هذا. أتمنى فقط لو أننا تعارفنا في ظروف أخرى.

- وأنا أيضاً.

وخرج من الظل ونظر إليها فالتوى قلبها للنظرة التي بدت في عينيه. إنه يحبها. إذا كانت الصور على الشاشة لا تريها هذا، فومضات عينيه تفصح عن ذلك بالتأكيد.

طرف بعينيه بعنف ثم نظر إلى الشاشة عندما عاد الصوت ليقول: (فيلم «الخطيب الزائف» عن الحب الذي مازال ممكناً بيننا. حب الأسرة. حب الأصدقاء. والحب الذي لا نتوقّعه).

وعلا صوتها على صوت القيثارة: «أنا خائفة من أن أفقدك».

- لن تفقديني أبداً يا حبيبتي، سأبقى بقربك دوماً طالما تريدينني أن أبقى. الخيار لك دوماً. أريد أن تتذكري هذا. عديني بذلك.

وعندما حاول أن يغادر ظهرت صورة أخرى، فعاد ليعانقها وكأن حياته تتعلق بهذا العناق. وسمعت صوتها يقول: «أعدك».

وعندما عادت الأضواء على كيتلين، تذكرت ما قاله قبل ظهور الحقيقة: «تذكري وعدك، يا كيتلين رورك».

خفق قلبها، ونظرت إلى رأسه المنحني. كانت كتفاه هابطتين قليلاً، وكأنه فقد قدرته على القتال. لكنه قاتل لتوه من أجلها وبشكل أقوى مما قاتل أي رجل آخر. لقد غامر، وكانت مغامرة كبرى.

وقف أمام غرفة مكتظة بالناس وقال الحقيقة. ألم يفعل هذا؟ إنها متلهفة لأن تصدّقه لكن هل يمكنها هذا؟

رفعت رأسها متجاهلة العيون التي انصبت عليها وعادت تسير في الممر متوجهة نحوه.. لكنه لم ينظر إليها حتى أصبحت على بعد خطوة منه.

- لماذا عليّ أن أصدقك بعد هذا كله يا إيدن؟

وومضت عيناها عندما خطرت لها فكرة ثم أضافت: «إذا كان هذا هو اسمك الحقيقي».

- إنه كذلك. كما أنني لا أستطيع أن أفكر في سبب يجعلك تثقين بي حالياً.

ونظر إلى الأرض لحظة، ثم عاد ينظر في عينيها مردفاً: «عدا أن هذه هي الحقيقة، يا كيتلين. أنا الشخص الذي أمضيت معه كل ذلك الوقت لكني أمارس لكسب عيشي».

- مخرج أفلام تلفزيونية هابطة تعيد لم شمل الأسر المشتتة؟

فعبس: «لا بأس. أنا أستحق هذا. أعمالي ليست كلها مثل هذا الفيلم».

رفعت حاجبها غير مصدقة، فقال: «هذه المواضيع شعبية جداً حالياً. لقد طلبوا مني أن أخرج هذا العمل قبل أن يسمحوا لي بإخراج فيلم أهم بالنسبة إليّ فوافقت».

اتسعت عيناها: «كتابك؟».

اقترب منها إذ لم يشأ إن يسمعها سواه: «نعم. لم أكذب بالنسبة إلى أي شيء آخر. صدقيني. وعندما اعترفت لي بالسبب الذي جعلك تشاركين في هذا العمل لم أستطع أن أنسحب، ليس بسبب الاتفاقية التي وقّعت عليها، بل لأنني أردت أن أنهيه من أجلك، حتى لو كان هذا يعني أن أخسرك».

تغلغلت كلماته إلى أعماقها، لكنها هزت كتفيها متظاهرة بالبرودة: «كان بإمكانك أن تحاول أن تخبرني».

- أردت ذلك.

- ولِمَ لم تفعل؟

- لأنك فضلت أن تعطي الأولوية لعمل أبيك.

- لن أكذب عليك وأخبرك أنني ما كنت أحاول أن أجد طريقة لذلك.

أنا مضطر لذلك كي أغلق الباب على ذلك الجزء من حياتي، وأتابع سيري في الحياة. ولكن كنت أفضّل أن أتخلى عن هذا العمل، بدلاً من أن أراك تتألمين بهذا الشكل».

سكت، وتنحنح، ثم قال: «لكنك كنت بحاجة إلى إنهاء هذا العمل أيضاً. لذا، كان عليّ أنْ أخاطر».

حدقت في عينيه طويلاً. تلهفت إلى أن تصدقه، أن تصدق ما رأته على الشاشة.

- وما أدراني بأن ما يدور بيننا الآن ليس جزءاً من الفيلم؟ وأنك لم تخطط منذ البداية لأن تجعلني أقع في غرامك؟

قطّب لمنطقها هذا: «أتظنينني على هذا القدر من الثقة بنفسي؟ أنا مازلت غير واثق تماماً من شعورك نحوي. لو كنت أعلم، لما وقفت هنا الآن عارضاً قلبي أمام قاعة مكتظة بالناس».

نظرت إليه وهو يتخلل شعره بأصابعه ويقول: « هل تريدينني أن ألقي بهذا كله؟ أن ألغي البرنامج؟ إذا كان هذا يقنعك، فسأفعله».

ضحكت بتهكم عكس بعض ألمها: «أتريدني أن أصدق أنك ستفعل هذا بعد كل ما بذلته من جهد شاق؟».

هبطت كتفاه بعد أن أدرك أنه خسر المعركة فهو لن يقنعها مهما قال. تنفس بعمق، ثم أرغم نفسه على أن يتكلم بصوت ثابت: «ما رأيته على الشاشة هو الحقيقة يا كيتلين. لم أجد طريقة أخرى أعرضها عليك وإذا كان كشفي لها أمامك بهذه الطريقة يجعل شخصاً ساخراً مثلي يؤمن بالحب، فهذا أمر على الأقل حسن».

نظرت إليه وهو يبتعد عنها، ويصعد درجتين من السلم ثم يقف. ورأت كتفيه يستقيمان وهو يتنفس بعمق، قبل أن يعود إليها ويقول: « أحبك. احبك أكثر مما ظننت أني قادر على حب أحد. حتى لو اضطررت إلى سرقة ذلك الوقت منك، يا كيتلين رورك، لا يمكنك أن

www.elromancia.com

تستعيديه مني. فبعد أشهر قليلة استطعت أن أعرف كيف يكون الإنسان السويّ المكتمل. ولهذا، أريد أن أشكرك، حتى لو لم أستطع أن أقنعك بأن شكري صادق».

وابتسم بحزن مردفاً: «وكما قلت لتوّك على الشاشة ليتنا تعارفنا بطريقة أخرى».

نظرت إليه وهي تطرف بعينيها، فيما التفت هو إلى أبيها وقال: «لقد دفعت ثمناً باهظاً من أجل هذا يا سيد رورك، وأرجو أن تحترم أنت حقيقة أنها فعلت هذا بدافع الحب وليس لأي سبب آخر. فلا تعاقبها برفضك قبول ما بذلت جهدها في سبيله».

وسمعت كيتلين أباها يجيبه بصوت مثقل بالمشاعر: «لن أرفض، يا ولدي».

ونظرت مرة أخرى إلى إيدن الذي رمقها بنظرة قبل أن يغادر المكان نهائياً، إذ لم يبق لديه ما يقوله لها. حاول أن يقنعها، كشف الحقيقة أمام الجميع هي أجلها، عرض عليها أن يتلف الفيلم ما يؤدي إلى إفشال المشروع الذي تعرف مدى أهميته بالنسبة إليه، حتى أنه حاول أن يصلح الأمور بينها وبين أبيها قبل أن يرحل.

وقرر قلبها ما عليها أن تفعل. فرغم ألمه البالغ منذ موت ليام، شعرت به يتمزّق بين ضلوعها وهي تراه يرحل ويتركها إلى الأبد. كان هذا أكثر مما تستطيع أن تحتمل. فانطلق نداء قلبها.

- أنا أصدقك.

جمد عند سماعه كلماتها الرقيقة هذه، فعادت تقول: «ما كان ينبغي لي هذا، لكنني أصدقك».

استدار إليها ببطء.

- أظن أنّ الحب يدفعك أحياناً لأن تغامر من أجله.

فعاد إليها...

- لكنني كرهتك حقاً لفترة قصيرة.

تقدمت منه ثم رفعت رأسها إلى عينيه الشديدتي الزرقة وقالت: «ومع ذلك مازلت تغامر لإنجاح هذا. هذا ما يفعله إيدن الذي أعرفه».

وابتسمت مضيفة: «هل تحبني حقاً... يا إيدن فلين؟».

فبادلها ابتسامتها وقلبه في عينيه: «نعم، يا كيتلين رورك. أنا أريدك».

ابتسمت وهي تسمعه يقول الكلمتين اللتين كان يفترض به أن يقولهما أمام الكاهن في الكنيسة. وأمالت رأسها جانباً وهي تمسك يده: «أنا أيضاً أحبك، وذلك منذ وقت طويل. عليك فقط أن تمضي بقية عمرك في إقناعي بأن ما نشعر به نحن الاثنين، ليس كذباً أبداً».

أمسك بيدها: «سوف أفعل».

تصاعد التصفيق من خلفهما فالتفتا ليريا الأب يفتتح التصفيق وهو يومئ برأسه إلى إيدن بينما انضم إليه الموجودون في الغرفة.

- لدي فكرة.

ومال إيدن نحوها وجرّها جانباً بينما امتلأت الغرفة بأصوات عن الإجراءات القانونية: «تزوجيني، وبهذا لا أغامر بفقدانك مرة أخرى».

اتسعت عيناها ثم ضحكت: «لا نستطيع أن نتزوج أيها المعتوه».

وأشارت بإصبعها على الخلف: «ثمة ممثل في ذلك المكان، هل نسيت»؟

- لم أنسَ. لكن الأب مايك كاهن حقيقي.

تلاشت ضحكتها ثم فتحت فمها: «لكن هذا غير حقيقي».

- بل هو حقيقي جداً يا حبيبتي، تسجيل زواجنا أيضاً.

صمتت كيتلين ذاهلة وهي تستوعب كلماته. حدّقت فيه فرأت النور في عينيه. وصدّقت أن كل ما ظنته حقيقياً كان فعلاً كذلك. لقد قال إن السر الوحيد الذي أخفاه هو استدراكه في إخراج العرض، ونوع العمل الذي يعيش منه. ونظرت إلى الرجاء في وجهه، فأدركت أنه لم يكذب

عليها في أيّ أمر آخر. تصرفاته معها وشعوره نحوها حقيقية تماماً، كحال تصرفاتها ومشاعرها هي. إنه يحبها، وهي تحبه، فهل يُهم فعلاً كيف وصلا إلى هنا؟

مال برأسه نحوها: «تزوجيني! أعدك بأن أعوّضك عن كل يوم ألم سببته لنا، نحن الاثنين».

عانقته وقالت: «عليك إذن أن تقول هذه المرة: (أنا أريدها)».

فابتسم: «سأفعل. لن أدعك تذهبين أبداً».

زواجها منه بعد كل ذلك الكذب والخداع، قد لا يكون منطقياً، لكنه أكثر الأمور التي فعلتها كيتلين صدقاً.

كان إيدن على صواب بالنسبة إلى الإخراج الجديد لفيلمه، إنه حقاً عن الحب. وهل هناك سواه؟

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة